روايات عبير

# قيامة الحب

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Lia CURTIS

N° 674

# روايات عبير

كانت "جوسيلين" - الباحثة الاجتماعية الفرنسية -
لا تعرف ما سوف تكلفها المغامرة بمفردها في ميناء
"هونج كونج"، حيث تتجمع فئة فقيرة وقلقة..
ولا أن تقبل دعوة الأمير "وانج سوي هونج" على سفينته الخيزرانية
الفاخرة. العديد من الفخاخ كادت تُفقد فيها.
إنه "ويليام" - هذا القرصان الراقي،
الذي يكاد أن يبدو شرسًا مما له من لامبالاة شديدة -
الذي عرفها بـ"هونج كونج" دون أن يلاحظ


ثمن النسخة

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان | ٢٥٠٠ ل. | قطر | ٨ ريال |
| سوريا | ٧٥ ل. | مسقط | ٧٥٠ بيسة |
| الأردن | ١ دينار | مصر | ١٠ جنيه |
| السعودية | ٨ ريال | المغرب | 20 درهم |
| الكويت | ٧٥٠ فلس | ليبيا | ١ دينار |
| الإمارات | ٨ دراهم | تونس | 2.5 دينار |
| البحرين | ٧٥٠ فلس | اليمن | ٢٥٠ ريال |
| U.K. | 2£ | | |

ISBN 9953-38-080-5
9 789953 380803

## شخصيات الرواية

"جوسيلين لاريو" : باحثة اجتماعية

"بيلار" : أستاذ

"ميتسيكو" : فتاة يابانية

"ويليام ساندرسون" : رجل أعمال

"سوهان فان شان" : أمير صيني

"هومونج" : سكرتير "ويليام"

www.rewity.com
مورية

## الغلاف الأمامي

قصة عاطفية، اجتماعية. من خلالها يستمتع القارئ بالعديد من المصادفات المثيرة والمشاعر النبيلة.

تصفحها – عزيزي القارئ– واستمتع بما فيها من أحداث.

# - 1 -

كان السفر طويلاً، لكنه كان ممتعًا. شعرت "جوسيلين لاريو" بالتعب. ولجت قاعة "لوك كوك"، وتقدمت إلى الاستقبال. ابتسم لها الموظف، ثم قدم لها المفتاح مصحوبًا بورقة مطوية، محددًا:

– لم يصل بعد الأستاذ "بيلار" يا آنسة، لكننا حصلنا على تلكس من "طوكيو"، وأيضًا هذه الرسالة.

شكرته "جوسيلين"، وتناولت المفتاح والورقة وتبعت الساعي إلى المصعد. شعرت بالدوار بعض الشيء، وأغلقت عينيها.

كانت الطائرة الـ"بوينج" قد حلقت فوق البانوراما المبدعة، قبل أن تُنزل ركابها على مهبط "كاي تاك" مرت بمجموعة جزر صغيرة، تلا ذلك اكتشاف هضبات خضراء، وعمارات "فيكتوريا" و"كولون". وها هي الفرنسية الشابة لا ترغب حاليا إلا في الراحة.

كانت الحجرة مريحة ورطبة ذات ديكور ممتع. دخلت "جوسيلين" في الحال إلى الحمام. خلعت ملابسها، ثم تعرفت مضمون التلكس فهو من طرف الأستاذ "بيلار" الذي يخبرها فيه بأنه لن يصل قبل بضعة أيام، طالبًا من معاونته أن تكون على استعداد لتلقي اتصالاً هاتفيًا من أحد الملحقين الثقافيين المحليين.

سعدت "جوسيلين" عندما وجدت أنها حرة على هذا النحو، أو على وجه التقريب خلال عدة أيام. ستتمكن من زيارة المحمية البريطانية دون حاجة إلى تأشيرة أو إذن.

فردت الرسالة، وقرأت، ثم أطلقت زفيرًا يدل على الخضوع للأمر. إن الملحقين الثقافيين الهنود لا يضيعون الوقت. وهذه الورقة



أكبر دليل:

"ستأتي سيارة لاصطحابك من أمام الفندق في الثامنة مساء. اتبعي تعليمات السائق الذي سيوصلك إليّ".

وكانت الرسالة مكتوبة على آلة من طراز قديم، كما هو واضح من شكل الحروف. ولم تكن موقعة، فبدأت الإخصائية الاجتماعية تشك في الكرم الآسيوي الشهير؛ لذلك كانت في حالة اكتئاب عندما دخلت إلى الحمام.

تواجدت في تمام الساعة الثامنة أمام مدخل الفندق. في الحال توقفت بالقرب منها سيارة ليموزين. قام شاب صيني عريض المنكبين بالانحناء أمامها قبل أن يفتح لها باب السيارة. وإذ اعتراها شك، قدمت له الفتاة الرسالة التي بيدها. فأشار إليها بالإيجاب.

– نعم يا آنسة. إنه هكذا. اصعدي.

اتخذت السيارة الطريق الموازي للغرب، دارت حول الـ"بيك" لكي تواصل طريقها في اتجاه جسر "أبردين". وكانت حركة المرور في هذه الساعة تبلغ الذروة.

"هونج كونج" هي بالتأكيد المكان الذي يضم أعلى نسبة مئوية من السيارات في العالم.

عندما نزلت من السيارة، دعاها السائق إلى الجلوس على مركبة خفيفة حمراء يجرها راكب دراجة. كان القائد الشاب في الانتظار واضعًا يديه على المقود. قام الرجل الذي يرتدي قبعة بتحيتها بإيماءة من رأسه.

– هذا الرجل هو الذي سوف يرافقك يا آنسة.

كان قد ابتسم لها. و"جوسيلين" تساءلت: "لماذا لم تتمكن من

التخلص من حالة الاكتئاب التي تملكتها؟ هل الغموض يحيط هكذا بالمنظمة الهندية؟ والآن ها هي تتعجل لقاءها بهذا الملحق الثقافي".

انطلقت العربة الصغيرة ذات العجلتين وهي خفيفة على الأسفلت. بدأت الروائح المختلفة تصل إلى أنف "جوسيلين" رائحة امتزاج الملح برائحة القذارة والعرق. وفوق كل ذلك رائحة هذا السائق الصيني الذي لم تتمكن من معرفة اسمه المعقد.

توقفت العربة بعد قليل. نزلت منها الفتاة، وقفت تتأمل هذا المنظر الجميل الذي تقدم إليها.

في بؤرة ضوء الغسق حيث اختلط اللون الأحمر بالبنفسجي، كانت آلاف من أشرعة السفن تتأرجح. وكانت القوارب من كل حجم كثيرة العدد، تمنح إحساسًا بأن الأرض مستمرة إلى ما بعد حافة البحر. كذلك الملابس الموضوعة على الحبال لكي تجف، كانت تتشابك في كل الاتجاهات. والصغار كانوا ينادون بعضهم البعض في صيحات من القوارب الصغيرة الصينية المحاطة بأعمدة الخيزران، يتلاحقون وهم يضحكون لإثارة كلاب أليفة مربوطة.

تأثرت "جوسيلين".

– تعالي يا آنسة.

قادها سائق الدراجة إلى جسور ضيقة. ساعدها على عبور أسطح قوارب ذات الشراع الواحد، حيث كانت الأسرة بأجمعها تلتف حول طبق الأرز التقليدي. وعند المرور كانت تبدو الابتسامات، والإيماءات بالرأس، وكانت حركة الدخول والخروج هكذا من عند الناس تعتبر هنا شيئًا مألوفًا.



– بسرعة.. بسرعة.

والآن ها هو الشاب الصيني يتعجلها. كان يبدو دائمًا ودودًا مبتسمًا. قال:

– من هنا يا آنسة. من هنا.

"جوسيلين" كانت لاهثة. وجدت نفسها على سطح قارب جديد. وعلى خلاف السابقة، كان هذا القارب فارغًا. كان القارب يهتز تحت قدمي الفتاة.

التفتت؛ لكي تطلب من المرشد بعض المعلومات. كان قد اختفى.

– إيه!

وكانت صرخة فطرية! كانت قد أطلقت صرخة الألم هذه دون أن تتحقق من أنها أطلقتها. فوجئت عندما اكتشفت أن نداءها هذا لم يجد أي صدى وسط صخب "أبردين" الدائم. تقدمت خطوة، تحققت في الظل أن سترًا عبارة عن ملاءة تفصل القارب إلى اثنين. كان هذا القارب يبدو أكبر من القوارب المجاورة له، وأكثر حداثة أيضًا. تقدمت "جوسيلين" ثم توقفت دون أن تلمس الستر الذي كان ينتفخ قليلا من حين إلى آخر من الريح.

– هل يوجد.. هل يوجد أحد؟

شعرت بصوت حك، أو قشط من الجانب الآخر من الغطاء المشدود. كررت سؤالها بشيء من الغضب.

تحرك الستر فجأة و– في الظل– رأت الفتاة أن شطريها انفرجا لكي يظهرا جزءًا من وجه يعبر عن الريبة. كما كانت تظهر فيه عينان سوداوان. وكانت بشرة هذا الشخص داكنة لامعة. وأثناء ما



www.rewity.com

التخلص من حالة الاكتئاب التي تملكتها؟ هل الغموض يحيط هكذا بالمنظمة الهندية؟ والآن ها هي تتعجل لقاءها بهذا الملحق الثقافي".

انطلقت العربة الصغيرة ذات العجلتين وهي خفيفة على الأسفلت. بدأت الروائح المختلفة تصل إلى أنف "جوسيلين" رائحة امتزاج الملح برائحة القذارة والعرق. وفوق كل ذلك رائحة هذا السائق الصيني الذي لم تتمكن من معرفة اسمه المعقد.

توقفت العربة بعد قليل. نزلت منها الفتاة، وقفت تتأمل هذا المنظر الجميل الذي تقدم إليها.

في بؤرة ضوء الغسق حيث اختلط اللون الأحمر بالبنفسجي، كانت آلاف من أشرعة السفن تتارجح. وكانت القوارب من كل حجم كثيرة العدد، تمنح إحساسًا بأن الأرض مستمرة إلى ما بعد حافة البحر. كذلك الملابس الموضوعة على الحبال لكي تجف، كانت تتشابك في كل الاتجاهات. والصغار كانوا ينادون بعضهم البعض في صيحات من القوارب الصغيرة الصينية المحاطة بأعمدة الخيزران، يتلاحقون وهم يضحكون لإثارة كلاب أليفة مربوطة.

تأثرت "جوسيلين".

– تعالي يا آنسة.

قادها سائق الدراجة إلى جسور ضيقة. ساعدها على عبور أسطح قوارب ذات الشراع الواحد، حيث كانت الأسرة بأجمعها تلتف حول طبق الأرز التقليدي. وعند المرور كانت تبدو الابتسامات، والإيماءات بالرأس، وكانت حركة الدخول والخروج هكذا من عند الناس تعتبر هنا شيئًا مألوفًا.



– بسرعة.. بسرعة.

والآن ها هو الشاب الصيني يتعجلها. كان يبدو دائمًا ودودًا مبتسمًا. قال:

– من هنا يا آنسة. من هنا.

"جوسيلين" كانت لاهثة. وجدت نفسها على سطح قارب جديد. وعلى خلاف السابقة، كان هذا القارب فارغًا. كان القارب يهتز تحت قدمي الفتاة.

التفتت؛ لكي تطلب من المرشد بعض المعلومات. كان قد اختفى.

– إيه!

وكانت صرخة فطرية! كانت قد أطلقت صرخة الألم هذه دون أن تتحقق من أنها أطلقتها. فوجئت عندما اكتشفت أن نداءها هذا لم يجد أي صدى وسط صخب "أبردين" الدائم. تقدمت خطوة، تحققت في الظل أن سترًا عبارة عن ملاءة تفصل القارب إلى اثنين. كان هذا القارب يبدو أكبر من القوارب المجاورة له، وأكثر حداثة أيضًا. تقدمت "جوسيلين" ثم توقفت دون أن تلمس الستر الذي كان ينتفخ قليلا من حين إلى آخر من الريح.

– هل يوجد.. هل يوجد أحد؟

شعرت بصوت حك، أو قشط من الجانب الآخر من الغطاء المشدود. كررت سؤالها بشيء من الغضب.

تحرك الستر فجأة و– في الظل– رأت الفتاة أن شطريها انفرجا لكي يظهرا جزءًا من وجه يعبر عن الريبْ. كما كانت تظهر فيه عينان سوداوان. وكانت بشرة هذا الشخص داكنة لامعة. وأثناء ما

تراجعت خطوة، رأت هذا الوجه ينتعش. فوجئت الفتاة لما لنظرته من قوة، وإن كانت خالية من أي بريق.

– هل أحضرت النقود يا آنسة؟

فُتح فم "جوسيلين" في الحال من فرط دهشتها، واتسعت حدقتا عينيها وتراجعت ثانية.

– هل معك نقود يا آنسة؟

لم تفهم "جوسيلين" ما حدث لها.

لقد شعرت بأن أحشاءها تعتصر من الخوف، وساقيها تجمدان. قفزت إلى الخلف، وجدت بحاستها الألواح الخشبية الرديئة التي تستخدم في الدخول والخروج، وأخذت تجري من قارب إلى قارب. أخذ قلبها يخفق في صدرها، والعديد من أصداء الأصوات ترن في رأسها.

جرت، قفزت من جسر إلى جسر خلال فترة، لم تسع إلى تحديدها. كل هدفها كان الابتعاد عن القارب ذي الستر.

كان ينبغي أن تبتعد عن هذا القارب بمقدار عدة كيلو مترات. تسلقت لوحًا خشبيًا مائلاً بنسبة كبيرة. تواجدت على جسر أكثر اتساعًا. توقفت، ونظرت من حولها وتجمدت في مكانها.

على مسافة ما يقرب من ثلاثة أمتار، كانت تجلس على الأرض سيدة صينية مسنة، تنظر إليها في هدوء. وكان كذلك رجل يجلس بالقرب منها. كان يثبت على "جوسيلين" بريق عينيه الخضراوين.

حينئذ فقط تمكنت "جوسيلين" من النطق:

– أسألك العفو.. أعتقد أني ضالة.



– لا يوجد من يفقد أيضًا.

وكان الرجل هو الذي نطق بما هو أقرب ما يكون إلى مداعبة رديئة. وبخته بنظراتها، وفي هذه اللحظة فقط، تحققت من أنه شخص أوربي. وما يدهش له، أنها لم تطمئن. كان كل ما هو على هذا الجسر المليء بالحياة والحركة، كل هذا كان يجلب لها نظرات غير محددة، قد تكون مرحة في بعض الأحيان. نادت الرجل بلغته المنغمة، وكم كانت دهشتها عندما رأت الشخص المجهول يجيبها باللغة الهندية. حكت السيدة العجوز رأسها، وانحنت في هدوء تحية وترحيبًا بالفتاة.

فما كان من "جوسيلين" إلا أن عزفت عن التعرف. لذلك كررت:

– أعتقد أني ضالة، وأتمنى أن أحصل على مرشد حتى إلى حدود هذا الجسر.

وحتى تلك اللحظة لم تفارق العينان الخضراوان عينيها. الآن بدأت عيناه اللامعتان تتفحصاها من القدمين إلى الرأس. وجدت أنه يطيل النظر إلى الأماكن الأكثر أنوثة؛ لذلك دفعت بالأمور.

قالت:

– ألا تتحدث الإنجليزية؟

– أفضل من لغتك وإن كان مضحكًا بعض الشيء. لقد فهمت معنى كلماتك. إنك تائهة أليس كذلك؟

– سبق أن أخبرتك بذلك. لقد انصرف المرشد دون سابق إنذار..

– وهل أنت ضمن فريق سياحي؟

– آه.. لا، لكني..

– إذن، اجلسي هنا ولا تتحركي بعد الآن. لدي أعمال يجب أن أنفذها.

– لكن..

– آه.. لا! إما أن تمكثي هادئة، وإما أن نفارقينا. بقيت نقطة من الممكن أن ننظمها وأخرجك من هذه المتاهة. تراجعت "جوسيلين" عندما أُخضعت لبريق العينين العجيب، كما أنها دهشت لهذه اللهجة اللاذعة، لاحظت في نظرة الرجل شعاع احتقار عندما بدأت تنزلق في اتجاه المدخل.

– سائحة، أليس كذلك؟

كانت اللهجة في هذه المرة محتقرة. ثم أيضًا هاتان العينان. إنهما تلمعان في الظلام. تساءلت "جوسيلين" عن عمر هذا المخلوق، وتساؤلها هذا أعاد إليها ترتيب أفكارها. انتزعت ابتسامة، وألقت نظرة إعجاب تجاه بانوراما "أبردين" التي كانت أضواؤها تتزايد بآلاف الفوانيس والشموع التي تتراقص، "أبردين" التي تبدأ سهرتها.

– كيف لا أكون سائحة هنا؟!

كانت قد نطقت بهذه الجملة بشيء من العجب، جعل الرجل الذي مازال جالسًا يبتسم. هز كتفيه، وألقى إليها نظرة أخيرة قبل أن يحول نظره إلى الصينية العجوز التي كانت تنتظر في صبر.

دام الحديث نحو ساعة.

لم تكتشف "جوسيلين" الرجل إلا عندما نهض بعد آخر كلمة وجهها إلى محدثته. لقد فوجئت بقوامه الفارع ونحافته. كان



يرتدي بدلة كاملة من الحرير بلون العاج. وكان له مظهر أحد السادة. كما كان شعره الأسود المجعد يمنحه غطاء رأس لامعًا تنعكس عليه آلاف من الأضواء الصادرة من المصابيح الدقيقة.

اقشعرت "جوسيلين" عندما رأته؛ إذ كان ذا جمال باهر.

تضايقت من هذا الارتباك؛ لذلك لفتت الفتاة نظره عندما مر أمامها دون أن يعتذر.

قالت:

– أرجوك، تصرف كما لو لم أكن موجودة هنا!

توقف، وتأملها، ثم أبدى ابتسامة كشفت عن أسنانه الناصعة البياض، ثم أفسح لها الطريق في الحال؛ لكي تمر أمامه.

– أطلب منك العفو كثيرًا ما أتخيل أن هذا الأسلوب في التصرف لم يعد مستخدمًا.

لم تلتفت "جوسيلين" لهذه الملاحظة. مرت، ونزلت بطول اللوح الخشبي المستخدم كباب للخروج. كانت قد وصلت تقريبًا إلى جسر القارب الدقيق جدًا والملتصق بالقارب ذي الأعمدة الخيزرانية، ثم انزلقت على اللوح الخشبي المندى. ترنحت أعلى الماء وهي تطلق صرخة دهشة.

وإذا بيد تمسك بذراعها وتجذبها إلى الوراء عندما أوشكت على السقوط.

– أعتقد أنه من الأفضل لك أن تأخذي أول طائرة متجهة إلى "أوربا" قبل أن تحدث لك مضايقات شديدة.

كان الرجل مازال ممسكًا بها. اعتراها الضيق اللذيذ مرة أخرى عندما شعرت بتنفسه الدافئ على عنقها. تمتمت في اللحظة التي

كانت ذراعا الرجل تحيطان بصدرها.

سألته:

– كيف علمت أني آتية من "أوربا"؟

ابتعد عنها، لكنه استمر في الإمساك بها بيد واحدة.

– من لهجتك.

– وأنت كذلك.

– شيء طبيعي. أنا نيوزيلاندي. انتبهي، خذي الحذر واعلمي أين تضعين قدمك. وأنت فرنسية؟

– بالضبط. أتعشم ألا تمطرني بالأسئلة عن "باريس".

هز كتفيه العريضتين.

– إني أمقت السياحة عن طريق الثرثرة المتبادلة.

– وهذا ما أرجوه، لأني متعبة، منهكة، وينبغي أن أعمل من صباح غد منذ الساعات الأولى.

قادها من القوارب إلى السفن المختلفة.

– لقد أخبرتني أنك سائحة.

– خطأ، أنت الذي أشرت إلى ذلك. ومن جانبي تساءلت ببساطة: "كيف لا أقوم بالسياحة في مثل هذه الأماكن؟"

– بالضبط. من هنا.

وصلا إلى أحد الأرصفة. أمسك بذراعها؛ لكي يساعدها على عبور حاجز من السلال من كل المقاسات.

هنا أصبحت الرائحة قوية جداً. قطبت أنفها في حركة مضحكة. فحها فقال:

– رقيقة، أليس كذلك!



لم تعلق، سألته:

– أعتقد أننا لا نتخذ الطريق نفسه؟

– ولمَ لا. أين تسكنين؟

– في "لوك كوك".

حك رأسه.

– في إمكانك اقتصاد أجرة التاكسي. إن سيارتي قريبة من هنا.

وكان قد توقف لكي يواجهها. اعتقدت الفتاة أنها استنتجت شعاع تحد، وكان واضحاً أنه كان يُسر عندما يتسبب لها في الضيق. عمقت نظرها في عينيه النادرتين.

– بالتأكيد، على الأقل سيساعدني ذلك على اقتصاد أجرة التاكسي.

قادها مبتسماً، دون أن يتكلم، إلى سيارة ليموزين أمريكية بلون أخضر، ثم بعد أن استقرا في السيارة التي انطلقت وسط ضوضاء العجلات التي تجر العربات مقلّة البضائع من كل نوع، قال بصوت قوي لا يخلو من الوداعة:

– لقد بدا عليك الخوف منذ قليل.

– كنت قلقة ليس إلا. أن يضل المرء في هذه المتاهة منذ أول ليلة، فلاشك أن في هذا ما يربك.

أشعل سيجارة، وحك رأسه:

– من العبث أن تردي بمثل هذه الأجوبة الغبية. إذا كنت متمسكة بكتمان السر فقولي ببساطة إني أضايقك.

– لكن..

– أعتقد أن الخوف كان بادياً عليك، وفعلاً كنت خائفة..



www.rewity.com

هل هذا الرجل يستنتج أفكارها السرية؟ عزمت "جوسيلين" في البدء أن تبدي له ملحوظة لاذعة، ثم تصمت في النهاية، وكان شيئًا ما غريبًا ينبعث منه، جعلها تعترف:

– إنها حقيقة، كنت خائفة بعض الشيء. كان هناك ما يدعو إلى ذلك.

قطب حاجبيه.. أخرج بعض الدخان، ثم قال:

– آه!

وفجأة قررت أن تحكي له كل شيء. وبعد أن انتهت، تأكدت من أنه سيمنحها تفسيرًا منطقيًا عن كل هذه الأحداث البسيطة، ولم يخب ظنها.

– إني أعرفه. هذا الصيني من "سامبان". إنه يدعى "ثان دونج تيه" إنه تاجر لامع مشهور. كما أنه يقوم أيضًا بتيسير المعابر.

– المعابر؟

– يوجد منهم العديد هنا. إن مهمتهم هي مرور الهاربين من الصين الشعبية إلى "هونج كونج". المشكلة هي أن "دونج تيه" شخص غير شريف. فهو ينظر إلى المال ويدعي دائمًا أن بعض الحراس الحمر يفاجئونه، وأنه استسلم، وأنه نجا بشرائه الحراس البحريين.

– لكن مثل هذا يعتبر نصابًا!

أطلق الرجل ضحكة صغيرة فظة:

– تعبير ممتاز! لكن هل تعلمين أن في "هونج كونج" النصابين متواجدون على متن كل السفن. غير أنه يوجد العديد من المارين الشرفاء في غاية النزاهة والأمانة.



ولما كان قد كف عن النظر إلى الطريق، لكي يفحص الفتاة بإمعان، سألته إذ ارتبكت:

– لماذا تحدثني بذلك؟

هز كتفيه.

– إن قصتك لا تهمني. هذا بالإضافة إلى أني لا أهتم إلا بشؤوني الخاصة فقط. لكن ما يسيئني هو اعتباري شخصًا غبيًا.

قالت في عنف:

– هل تقصدني بكلامك هذا؟

– نعم، وليس لأحد سواك. إن قصتك عن رسالة عجيبة دخلت إلى صندوق البريد الخاص بك من باب الخطأ تبدو لي ساذجة إلى حد ما.

– ليست قصة ولكنها حقيقة. هل لي ذهن شخص يسعى إلى تيسير مرور الصينيين الشيوعيين في منطقة العاصمة؟

– المقصود ليس الذهن. إني أعرف أناسًا في غاية المرونة والرشاقة يقومون بهذه التجارة، وخاصة سيدات يعملن كوسيطات.

– يبدو أنك تعرف المسألة.

– إني أعيش دائمًا هنا. وإن كان هذا البلد يسحرني، لكنه لا يعميني. وفي النهاية، هانت وصلت. وكما أتوقع أنك ستحرمين نفسك من متعة مشاهدتي ثانية، أقول لك الوداع.

لم يمد لها يده، ولم ينزل من السيارة لكي يساعدها. وإذا بصبي الفندق يصل في هذه اللحظة. ألقت "جوسيلين" نظرة خاطفة إلى هذا الرجل ذي الوجه والبنيان والهندام التي دفعت بالدماء بسرعة في عروقها. عضت على شفتها وكأنها موشكة على الكلام.



www.rewity.com

لم تمر كلمة واحدة على شفتيها النهمتين. كان هذا الرجل على حق. فهي لا تتمنى أن تراه ثانية.

أغلق باب السيارة من خلفها. شعرت بلدغة غريبة في كليتيها. أسرعت الخطى نحو الصالة المضاءة. ولجت فيها بسرعة وكأنها تخشى من أن يتبعها أحد أو أنها تخاف من أن تلتفت.

استندت في حجرتها إلى أحد مصراعي الباب المغلق، وأطلقت زفيراً طويلاً.

وبمرورها من الحمام، تساءلت: "لماذا شعرت فجأة بأنها مرتبكة جداً وتعيسة جداً؟"

سُمع صوت قرع على الباب.

مكثت في البداية جامدة، وقد اهتز كيانها، وفقدت توازنها. تحرك رأسها في كل اتجاه وكأنها تسعى إلى مشاهدة من بالباب من خلال الحواجز. ثم - أثناء عودة القرع على الباب- لفت نفسها في برنس من نسيج البشكير، وقد اضطربت إزاء فكرة أن هذا المجهول النيوزيلاندي لم يجد سوى هذه الطريقة لمواصلة حديثهما. لحسن الحظ لم تكن قد رفعت المساحيق من على وجهها، ولم تحل تسريحة شعرها بالتمام.

فتحت مصراع الباب، واتسعت عينا "جوسيلين" من الدهشة.

- أقدم لك ألف اعتذار يا آنسة "لاريو". إني مدير هذا المبنى. لقد حضرت؛ لكي أعتذر لك عن غلطة بشأن هذه الرسالة التي سلمها إياك الاستقبال في هذا المساء.

كان هذا الرجل قصير القامة وقويًا نسبيًا. وعلى وجهه المستدير كانت بشرته مشدودة مثل "رق" جديد. وهو يضع على عينيه



نظارة ذات إطار ذهبي، تضفي إلى عينيه بريقا.

كانت الفتاة الآسيوية تبدو جميلة جداً إذا قورنت به. غير أن عينيها - الشبيهتين بعيني الصقر- كانتا على ما يبدو تنمان عن الخوف.

ثم بعد بعض الإيضاحات، حياها المدير وانصرف.

ابتسمت "جوسيلين" إلى الفتاة وسلمتها الرسالة.

- أقدم لك اعتذاري، لأني فتحتها.

ألقت محدثتها نظرة خاطفة إلى الدهليز الخالي من الناس. أمسكت بالورقة بحركة يائسة، وعمقت النظر في عيني "جوسيلين".

- أفي.. أفي إمكاني أن أتحدث إليك لحظة يا آنسة؟ إنه أمر مهم.. مهم جداً.

على ما يبدو أنها كانت خائفة حقًا.

## - 2 -

إن نوعًا من الانتحاب الجاف هز الفتاة الآسيوية فجأة. جلست على المقعد ذي المسندين الموضوع بالقرب من السرير، ثم انخرطت فجأة في نحيب شديد.

- لقد ضاع كل شيء. كل شيء ضاع!

كانت قد وضعت كفيها على وجهها أي أخذت تلطم، وظهرها كان يهتز من النحيب. اقتربت "جوسيلين" وجلست على ركن السرير. أمسكت بأحد المعصمين النحيفين للغاية، في حركة تعزية



www.rewity.com

غير مجدية.

– ما الذي فقد؟ ما الذي ضاع؟ أنا لا أفهم شيئًا من كل ذلك.

رفعت الزائرة رأسها بشدة. وكان وجهها الجميل غارقًا في الدموع.

– كان يعلم. كان يعلم أنه من المستحيل. كان قد أخبرني ولم أصدقه!

تنهدت "جوسيلين". نهضت لكي تذهب وتملأ كوبًا من الماء وتحضر بعض المناديل الورقية من علبة من الخمام.، وعندما عادت إلى الحجرة، كانت الفتاة مازالت تبكي.

– اشربي وجففي عينيك.

نفذت ما طلبته منها في وداعة، ثم انتصبت متخذة مظهراً وقوراً، مما دفع الفرنسية إلى الابتسام.

– إذا سردت لي قصتك فربما أستطيع معاونتك. ما اسمك؟

– "ميتسيكو".

– يابانية؟

حكت الفتاة رأسها.

– عن والدتي. والدي كان أمريكيًا.

لم تطلب "جوسيلين" مزيداً من التفاصيل. إن هذا المزيج الأمريكي الياباني مألوف كثيراً. حكت رأسها:

– هل ما حدث لك خطير إلى هذا الحد؟

– من أخطر ما يمكن أن يحدث لنا. الآن لقد ضاع كل شيء، ولن نصل إليه أبداً.

– ليتك تلقين مزيداً من الضوء على الأمور.



– لن تتمكني من مساعدتي. إنك باتصالك بهذا الهندي بدلاً مني، ثم هروبك من الموقف، يشكل فشلاً. لن أحصل عليه بعد الآن. كان اتصالنا الوحيد.

فكرت "جوسيلين" لحظة:

– من الذي ينبغي أن توفديه إلى "هونج كونج"؟

انتصبت اليابانية مثل الياي. كان الفزع واضحًا على وجهها المتدّي، وأخذت تتراجع نحو الباب.

– أنت.. كيف تعلمين؟

أبدت "جوسيلين" حركة ضيق.

– لا يهم، لكن يجب ألا تخشي شيئًا من جانبي. أنا فرنسية، وإقامتي هنا من أجل رحلة علمية بشأن علم الاجتماع. حدث أني استلمت هذه الرسالة عوضًا عنك، فما كان مني إلا أن توجهت إلى هذا الموعد، اعتقاداً من أني سوف أتعامل مع الملحق الثقافي المحلي. ولا ريب في كل ذلك ولا ما يخشى منه.

بدت "ميتسيكو" مطمئنة إلى حد ما. تقدمت خطوة إلى الأمام، وأخيراً جلست من جديد وهي تهز كتفيها الهزيلتين، الضئيلتين.

– نهاية الأمر، أستطيع أن أتكلم الآن. كان عليَّ لقاء وسيط أحد هؤلاء المارين، لكي أسلمه مبلغًا معينًا من المال من أجل الانتقال. وخلال عدة أيام كان على "تاو – لي" أن يلحق بي هنا. وبعد ذلك، ما عليَّ إلا أن أصطحبه معي إلى "طوكيو".

كل شيء أعد. وجواز السفر المزوَّر كلفني مبلغًا كبيراً ونصف رصيد المرور البري الذي كان ينبغي أن يتم في هذا المساء. وكان



WWW.REWITY.COM مـــرمـــور

لقاء هذا المساء قد تحدد. بعد التسليم، ليس أمامي سوى انتظار وصول "تاو- لي" خلال ثلاثة أيام.

- من هو "تاو- لي".

- لقد قابلت هذا الشخص في "بكين" عندما كنت موظفة في سفارة بلدي. أحببنا بعضنا في الحال، ومنذ هذه اللحظة، عزمت على اتخاذ كل الوسائل الممكنة لكي أسمح له بالخروج من "الصين". كان هذا منذ عامين من الصمت والمدخرات الغبية.

- لكن لم نفقد كل شيء يا "ميتسيكو"، يكفيك أن تكرري الاتصال بهذا الوسيط، ومنحه النقود الخاصة بالتخفيضات.

- مستحيل.

- كيف يحدث ذلك؟

- لقد كان الرجل - موضوع حديثكم- قد أخطرني. وكان هذا هو آخر لقاء سمح لي به. إن لم أحضر له النقود هذا المساء، تعتبر العملية لاغية. أولئك الناس يخافون جداً. إن ما يقومون به مخاطرة.

ابتسمت "جوسيلين" داخلياً. لقد استمدت قوتها من الإعلانات التي أدلى بها الرجل ذو العينين الخضراوين، لم تتوقع أي نجاح لمشروع اليابانية.

ساورتها رغبة في أن تفصح لها بذلك، لكنها قررت أن تكون بالنسبة إليها ضربة جديدة من القدر. نهضت، وذهبت لتناول كوب ماء وعادت نحو السرير لكي تقول في هدوء:

- توجد بالتأكيد وسيلة لإصلاح ما حدث يا "ميتسيكو". يوجد مارون آخرون.



- بالتأكيد، لكن الاتصال بهم يحتاج إلى وقت، لابد من كسب ثقتهم، كما أنه لابد من المال، مبلغ كبير.. لذلك لقد أعطيت نصف الرصيد إلى هذا الرجل الذي لن أراه بعد الآن.. وأيضاً..

- وأيضا؟

ترددت اليابانية، أطلقت زفيراً وهزت كتفيها علامة لليأس.

- وأيضاً، ستنتهي المهلة.

- المهلة؟

- لأن "تاو- لي" في رحلة الآن بالقرب من الساحل. إنه موضوع انتقال بالنسبة إلى عمله. لقد تم تدبير كل شيء بادق التفاصيل، عدا ألا يكون القارب الخيزراني الخاص بالعابرين على موعد.

- ومتى سيتم هذا الموعد؟

- خلال ثمانية أيام بالضبط، في مكان محدد جيداً، وفي ساعة محددة أيضاً. الصعود على متن القارب لا يستغرق أكثر من دقيقة. إذن لن يكون القارب في الميعاد و"تاو- لي" سوف يضطر إلى العودة إلى "بكين"، وبذلك ينتهي الأمر.

مرة أخرى نهضت "ميتسيكو"، توجهت إلى الباب، ترددت قبل أن تفتح، تأملت الرسالة - التي أصبحت عديمة الفائدة- بكل أسى.

- أشكرك يا آنسة، ماذا..

- "جوسيلين"، "جوسيلين لاريو"..

انفرجت شفتا الآسيوية المسكينة عن ابتسامة ضعيفة، وتحرك شعرها القصير عندما انحنت للتحية.

– اسم جميل، "جوسيلين" شكرًا جزيلاً.

– انتظري!

همت بالخروج والشكوك ساورت "جوسيلين" فجأة بأنها تتركها هكذا في حالة اليأس التي تعانيها. لحقت بها، وأمسكت بذراعها كمن توصل إليها دفعة طاقة.

– لم يُفقد كل شيء يا "ميتسيكو"؛ لأنه يكفي العثور على قارب الوسيط.

– لن نجده أبدًا.

– ليكن بالسؤال وبالبحث! لا ينبغي أن نهمل الموضوع هكذا.

أبدت اليابانية ابتسامة تدل على الخضوع للأمر. بدا في نظرتها بريق، لكن سرعان ما اختفى.

– واضح تمامًا أنك أوربية يا "جوسيلين". إنك لا تعلمين شيئًا عن علم النفس الآسيوي. إذا كان هذا الرجل لا يرغب في أن التقي به، فلن أتوصل إلى ذلك.

فتحت الباب– في هذه المرة– التفتت مرة أخيرة وتمتمت متوجهة لتلك التي واستها:

– شكرًا يا "جوسيلين". سأحتفظ بذكراك دومًا، فهي ثمينة عندي.

*****

اتسعت حدقتا هاتين العينين الخضراوين، انتظرت وكلها أمل في أن تكون هذه المياه قريبة؛ لكي تتعمق فيها. كانت تعرف أنها طيبة ووديعة، على الرغم من هذا الفتور الظاهري.



ها هي المياه قد اقتربت. حت حينئذ أن في وسطها بئرا.

كادت تهتز، أن تستسلم لتلك الهاوية التي تشعر بها من قبل. إنها ممتعة ودافئة وهي على يقين أنها مطمئنة. تأهبت للقفز وتحققت من أن هذه المياه وهذه البئر ليسا سوى حدقة محاطة بقزحية بلون أخضر.

وتعرفت على العينين.

إنهما عينا..

لقد نسيت اسمه.

لا. الآن تذكرت أنه ليس له اسم. لم يكن لهذا الرجل اسم. وتساءلت إذا كانت هذه الخاصية هي التي جعلته جذابًا. لا. إن هذا المجهول كان له اسم، لكنها لا تعرفه. لم يخبرها به. ندمت على ذلك. أدانت ذاتها على أنها لم تسأله عنه. واستيقظت!

فوجئت بأنه مازال الوقت ليلاً، ولا يحدث لها ذلك إلا نادرًا عندما تقوم برحلات طويلة جدًا؛ بسبب تغيير التوقيت. انتصبت في سريرها، نظرت من حولها، لم تميز سوى خيالات. خيالات أثاث الحجرة.

أدركت حينئذ أن المنبه مضبوط على ساعة تختلف عن الساعة المحلية للمكان. وكانت تشعر بالضيق مسبقًا.

نهضت، وتوجهت إلى الحمام. انتعشت عندما لطفت وجهها بالماء البارد وأضاءت نور الحجرة، ثم – إذ لم تعد تعرف ما سوف تقوم به– جلست على ركن السرير. تثاءبت، وفكرت في إشعال سيجارة، لكنها لم تنفذ؛ لأنها نادرًا ما تدخن. تناولت مجلة، وأخذت تقلب صفحاتها، لكنها لم تجد أي متعة في النظر إلى



www.rewity.com

الصور غير الواضحة التي كانت تتلاحق أمام عينيها.

انتصبت فجأة، إذ إن رد الفعل عندها جدد قواها. شعرت بأن الإحساس بالأسى يتزايد دون أن تدرك السبب لذلك. قطبت حاجبيها، وأحنت رأسها على صدرها. اضطرت إلى التفكير خلال عدة دقائق، ولما لم تجد مبرراً لضيقها هذا، لجأت إلى النوم ثانية.

مرة أخرى لاحقتها تلك العينان الخضراوان وهي بين الأغطية. عينا هذا المجهول الذي أثلج صدرها، وولّد ناراً في جسمها. أدانت ذاتها؛ لوقوعها فريسة لمثل هذه التخيلات وعزمت على القراءة؛ لكي تخدع أرقها.

وحينئذ فقط شرد ذهنها.

تذكرت "ميتسيكو" ومنذ ذلك الحين فهمت أن الأجنبية الصغيرة سبب يقظتها.

نهضت من جديد؛ لأنها كانت قلقة. ها هي الآن تستعيد بوضوح ما بدا على "ميتسيكو" عندما كانت هذه الأخيرة قد غادرت الحجرة، ثم هاجم "جوسيلين" تذكر الكلمات التي كانت قد نطقت بها الآسيوية الشابة.

"شكراً يا "جوسيلين" ساحمل ذكراك معي. إنها ثمينة جداً!!"

قفزت "جوسيلين"، وأخذت البرنس وارتدته على عجل. أسرعت إلى الدهليز الواسع. قرعت الباب الذي رأت الفتاة من خلفه وقد اختفت.

قرعت الباب على دفعات، دون أن تحصل على رد. ولما اشتدت قرعاتها إلى حد جعل الباب المجاور يفتح، ويظهر منه رجل بدين، ناداها بلغة أجنبية لم تفهمها. حاولت فتح الباب بأن تدير



مقبضه، لكن كان هذا عبثاً.

وبعد أن عاد إلى حجرته، طلبت الاستقبال، راجية منهم أن يتصلوا هاتفياً بحجرة "ميتسيكو". وبعد دقيقة، توقعت أن شيئاً ما قد حدث للفتاة. لا يوجد من يجيب!

نزلت إلى الاستقبال، وأخبرت أحد العاملين بما يساورها من قلق. كان هذا الأخير نائماً، لكنه كان مبتسماً. اضطرت إلى الإلحاح بأقصى قوة؛ لكي يحضر المدير برفقة مخبر الفندق.

- هل عندك مفتاح عمومي؟

كانت قد وجهت هذا السؤال بلهجة رسمية، أوهمت الرجلين، مادام المدير وافق على الصعود لفتح باب "ميتسيكو".

وفور ظهور النور بالحجرة، أدركت "جوسيلين" أنها - للأسف - لم تخطئ. كانت اليابانية الشابة ترقد على سريرها بلا حركة.

تمتم المدير ببعض العبارات بصوت عال، وأسرع المخبر إلى التليفون. تلا ذلك حديث خاطف. في هذه اللحظة، غطت "جوسيلين" "ميتسيكو" بملاءة، وعادت إلى حجرتها؛ لكي ترتدي ملابسها هناك.

بعد بضع دقائق، أقبل طبيب شاب، أصدر أوامره إلى رجلين بالانسحاب، وطلب من "جوسيلين" بالاحتفاظ بذراع "ميتسيكو" في وضع معين أثناء إعطائها حقنة، وتوجه بعد ذلك ورفع سماعة التليفون.

وبعد قليل وصلت سيارة الإسعاف.

وفي الوقت الذي وُضع فيه جسد اليابانية على نقالة، وتم إنزاله، كانت "جوسيلين" قلقة تستفسر من الطبيب:



WWW.REWAYAT.COM

– هل.. هل الحالة خطيرة؟

تردد الطبيب الممارس لحظة. نظر إلى الديكور الخرب وكأنه يكتشفه، وقال في يأس:

– لا ندري يا آنسة مع هذه المهدئات. إنها في حالة سيئة. هل أنت من أسرتها؟

– لا، لا، لست إلا صديقة.

*****

– يجب أن أراها بأقصى سرعة!

تضايقت "جوسيلين" أمام ابتسامة الصينية العجوز. ابتسامة ماكرة، ولكن متحفظة. تساءلت إذا كانت السيدة تفهم جيداً ما تريد، فاستفسرت منها عن ذلك. حكّت الصينية رأسها. كانت في نظرتها لمحة مكر تعمل جاهدة على إخفائها.

– نعم يا آنسة. نعم.

– لابد لي من لقاء هذا الرجل وبسرعة. هل تفهمين؟

– نعم يا آنسة. نعم.

– هل هو في الفندق؟

هزت السيدة رأسها علامة للنفي. تضايقت "جوسيلين".

– أين هو إذن؟ هل هو مازال في "هونج كونج"؟

حكت الصينية رأسها، بدت وكأنها تتسلى بإلحاح الأوربية. ثم أبدت ابتسامة كشفت عن أسنان ناصعة البياض. قررت "جوسيلين" أن هذه الأسنان إنما هي أسنان صناعية، وهذا انتقام منها لما لاقته من فزع. ألحت ثانية:



– حسناً.. لقد فهمت الآن أنك لا تريدين أن تخبريني بالمكان الذي أستطيع أن أتقابل معه فيه. كل ما أطلبه منك هو الاتصال به هاتفياً وأن تعطيه هذه الرسالة من طرفي.

تناولت العجوز قطعة الورق. حكت رأسها مرة أخرى. وكانت ترفع شعرها الرمادي على هيئة شينيون.

– نعم يا آنسة.

– هل ستقومين بذلك؟

– نعم، نعم.

– وبأسرع ما يمكن. أليس كذلك؟

لم تجبها السيدة. اكتفت بإظهار ابتسامتها المثيرة، وهي تفحص الفتاة بعينيها المحاطة بتجاعيد دقيقة.

تنهدت "جوسيلين" وعملت على إبداء ابتسامة عملت على جعلها ودوداً بقدر الإمكان، وتركت جسر القارب المحاط بالخيزران. كادت تضل بعد ذلك. لم تصل إلى الرصيف إلا بعد عشرين دقيقة، متعبة، بعد أن استنشقت روائح كريهة. صعدت إلى تاكسي، وطلبت منه أن يقودها إلى "كينجز بارك" إلى مستشفى "كوين إليزابيث".

كانت "ميتسيكو" قد فقدت الكثير من الدماء، وعلق بجسدها أنابيب مختلفة الأنواع، لكن عينيها كانتا مفتوحتين، استقبلتها وهي ترمش.

جلست "جوسيلين" بجوارها ومررت يدا مطمئنة على الجبين الصغير المقوس وابتسمت.

– لقد بعثت في نفسي الرعب يا "ميتسيكو".



WWW.RWITY.COM

وجهت إليها اليابانية إشارات ما وأغلقت عينيها لبضعة قبل أن تفتحهما على بياض السقف.

– كان لا ينبغي يا "جوسيلين" أن..

– لا ينبغي. ما الذي كان لا ينبغي أن أقوم به؟

– أن تتوسطي أو تتدخلي. لقد انتهى الوضع بالنسبة إلي تقريبًا. كانت حالتي قد تحسنت، ولم يكن هناك مبرر لكي يلحق بي الحزن. لو أنك لم تخطري الإدارة، ما كنت هنا بماساتي.

وكانت نبرات صوت "ميتسيكو" تبدو ضعيفة، متعبة، كما أن المرارة كانت بادية على شفتيها الشاحبتين. وإذا بموجة من الحزن المؤلم تصعد من حلق الفرنسية.

مالت عليها وسألتها:

– كم عمرك يا "ميتسيكو"؟

– ثلاثة وعشرون عامًا.

– لنا نفس العمر تقريبًا. أنا عمري اثنان وعشرون عامًا بالضبط.

– ولماذا تسألينني عن ذلك؟

– لكي أساعدك على فهم بعض المعلومات. انظري إليَّ وأخبريني أنه لو تبادلنا المواقف لما تركتني أموت.

ألقت اليابانية نظرة تدل على التعب على وجه محدثتها وهو بيضاوي الشكل ونضر.

– إنك على حق. في هذه الحالة لن أتركك تموتين. كم أنت جميلة!

حكت "جوسيلين" رأسها وابتسمت.

– بالتأكيد، إن حالتك مختلفة. لابد لمن لا يلاحظك ولا



يلاحظ تعبك البالغ أن تعول إنك غير جميلة.

فما لبثت "ميتسيكو" إلا أن أشارت إلى آلام ساقيها. بدا عليها التعب. حركت ساقيها تحت الغطاء، وتنهدت وهي تتمتم:

– كم أنت لطيفة يا "جوسيلين".. لطيفة جدًا. إني نادمة على ما تسببت لك فيه من هموم.

وأطلقت زفيرًا مرة أخرى وهي تتمتم:

– إنك لطيفة جدًا يا "جوسيلين".

– لا تفكري في ذلك. استردي عافيتك قبل كل شيء.

– وبم يفيد ذلك؟

بدا الغضب في عيني الفرنسية.

– لكي تعيشي يا "ميتسيكو". لكي تعيشي ليس إلا. ليس للإنسان الحق في عمل ما حاولت القيام به في هذه الليلة.

– عند اليابانيين، الانتحار ليس مخزيًا، بل بالعكس.

– أعلم ذلك، وحقًا لقد تسببت لي في ألم كثير.

قالت هذا ودمعة تلمع في عينيها.

– إني آسفة جدًا يا "جوسيلين".

– لا تفكري في ذلك بعد الآن. لقد أتيت ببساطة، لكي أخبرك بأني أسعى إلى العثور على الوسيط.

– أنت..

– لا ترتبكي.. أقول لك ببساطة إني أحاول. وفور حصولي على ما هو جديد سأخبرك به.

نهضت، وقبلت الجبين الناعم، محاولة تجاهل نظرة التوسل المليئة بالأمل التي تلقي إليها بها صديقتها الجديدة.



www.rewity.com

– ساعود بعد قليل. كوني عاقلة، أليس كذلك؟

فجاء رد "ميتسيكو" عبارة عن ابتسامة ليس إلا.

كانت الحرارة شديدة جداً في الخارج. وكانت ضبابة كثيفة تغطي جزيرة "هونج كونج" وتغرق الـ"بيك".

كانت حركة المرور في ساعة الذروة، والتاكسي الذي استأجرته "جوسيلين" يجد صعوبة في الوصول إلى نفق "كروس هاربو" الذي يخترق الخليج بين "كاولون" و"فيكتوريا". كانت "جوسيلين" تتمنى العودة إلى حجرتها بأسرع ما يمكن.

لم تجد في الملف الخاص بها أي رسالة تشير إلى وصول قريب للأستاذ "بيلار". وكان الموفد الثقافي الخلي يبدو وكأنه يجهل وجودها في "هونج كونج". كانت المساعي التي بذلتها طوال هذا اليوم قد حطمتها. كما كانت الفتاة مازالت تشعر بحالة عدم استقرار القوارب تحت قدميها المتألمتين.

ثم في تمام الساعة السادسة تمددت بعد أن أخذت حماماً أفادها في تليين عضلاتها. كانت الفتاة قد عزمت على النوم قبل العشاء على قدر استطاعتها.

نامت حتى الساعة التاسعة. وكانت ثلاث قرعات خاطفة هي التي أنهضتها من سريرها. أسرعت بوضع البرنس ومشطت شعرها بسرعة.

فتحت الباب ووقفت جامدة من الدهشة والخجل.

إنه هنا! يقف بلا حركة، وقد بدت علامات الازدراء في عينيه وعلى شفتيه. تفرس فيها، أطال النظر إلى فتحة البرنس وهي على شكل حرف V، وأخيراً بدت ابتسامة على فمه ذي الشفتين



الواثقتين. تقدم خطوتين، ثم أغلق الباب.

– لقد أخطرتني العجوز "وا تشو" عندما تمكنت من ذلك. إني لم أتأخر كما ترين.

– إني.. إني مسرورة لمجيئك بهذه السرعة، لكني في حالة...!

تقدم خطوة أخرى نحوها، وعمق النظر في عيني "جوسيلين" فارتبكت. ثم في وداعة مدروسة، مد ذراعه اليمنى. وأمسك بشعر الفتاة وجذبها فجأة إليه.

أصيبت الفتاة بحالة أقرب ما تكون إلى الدوار عندما قام بتقبيلها، ومن فرط غرابة الموقف، تساءلت الفتاة عما إذا كان ذلك لم يكن من الخيالات الليلية.

## - 3 -

اقشعر بدن الفتاة عندما شعرت بأن هذا الرجل اقترب منها أكثر، ثم مرر يده على ظهرها، بل وأكثر من ذلك، لقد دفع بها إلى السرير الذي كان خلفها، صاحت:

– لا!

وتمكنت من التخلص منه لاهثة.

– لا، أرجوك!

مرة أخرى حاول الرجل أن يقبلها. أغلقت عينيها!

شعرت بأن قواها تضعف أمام هذا الخائن، الغادر. أحست بعذوبة شفتيه، لكن سرعان ما أفاقت ودفعت بهذا الذي يسعى إلى إغرائها.

صرخت:

– لا. أنا لم أعمل على الاتصال بك من أجل ذلك. أنا لست من تلك الفتيات..

عجزت عن العثور على كلمات تعبر بها عن موقفها.

– إني حقًا لم أجد مبررًا لمثل هذا الإلحاح في لقائي، إلا ما نقوم به الآن.

تراجعت، ومررت بطريقة آلية يديها في شعرها المنكوش وأصلحت من زينتها وهندامها وتفرست فيه.

قالت:

– ما الذي تقوم أنت به!

بدا الشاب ساخرًا متعاليًا.

فقالت له:

– كان في وسعك اختبار قوتك البدنية على أحد الشبان الأقوياء. من السهل جدًا استغلال ضعف فتاة، ألا ترى معي ذلك؟

وكم كانت دهشتها عندما رأته يهز رأسه وكأنه يتسلى بها. ثم أردف:

– لست من أولئك الذين يتعاملون مع أولئك الشبان الأقوياء.

تملك الغضب الفتاة التي أردفت:

– إنك تفهم جيدًا ما أقصده.

عاد إلى جديته فجأة. أصلح كسرات ياقة سترته الحريرية. انتصب بكل قامته الفارعة، مثبتا نظراته على نظرات "جوسيلين". وكانت هذه الأخيرة مازالت مضطربة.

– حسنا. سلمنا أنك لم تتصلي من أجل ذلك. ترى ما هدف



مجيئي إلى هنا؟

– أن تعاونني.

هز حاجبه وأشعل سيجارة. ثم جلس على أحد المقاعد ذي المسندين.

هناك شبَّك ساقيه، وأخرج الدخان من فمه.

تقست ملامحه وأعلن في جفاف:

– لقد تم العفو عنك.

– عفوا؟

– لقد عفوت عنك؛ لأنك لا تعرفين "ويليام ساندرسون".

– من هو "ويليام ساندرسون"؟

قرع صدره وقد بدت عليه السعادة.

– أنا.

– وبعد؟

وجه إليها الكلام:

– لقد قمت بالخطوة الأولى. كان عليك أن تتحققي من حسن النية.

– أنا لا أفهم.

– أن تخبريني باسمك مثلاً. بذلك يصبح الموضوع سهلاً. أليس كذلك؟

كادت تبتسم، لكنها امتنعت؛ لأنها مازالت تحت تأثير هذه الصدمة التي هزت كل كيانها.

قالت:

– "جوسيلين"، "جوسيلين لاريو".

كانت تبحث عن عبارات للمبادرة، لكن تفكيرها قد شل. ومع ذلك لقد استدعته من أجل غرض محدد؛ لمساعدة "ميتسيكو"، في محاولة لإعادة السعادة إلى هذه اليابانية الصغيرة التي كانت قد تركت قلبها الشاب بالقرب من "بكين" وكان "ويليام" هو الذي سهل لها المهمة مشيراً نحوها بسيجارته.

– اجلسي.

نفذت في الحال وشعرت بالارتياح.

– هانا أصبحت صديقة لفتاة يابانية.

مرة أخرى عبرت التجاعيد المحيطة بفم "ويليام" عن السخرية.

– مقدمة دبلوماسية رائعة، ممتازة!

– لا داعي للمزاح. المقصود هي هذه الفتاة التي أرسلت إليها الرسالة لا إراديًا.

لاحظت مما بدا على ملامح "ويليام" – أنه بدأ يهتم بالأمر. ها هي نظراته تشير إلى الانتباه التام. وإن كانت "جوسيلين" تجهل منصبه، إلا أنها كانت لا تشك لحظة في قدرته في هذا المجال. إن هاتين العينين من النوع الذي يعرف كيف يحسب المشكلة، ويجد لها بالتالي الحجج والبراهين اللازمة لحلها.

– الرسالة المبعوثة من "تان دونج تيه"؟

– نعم.

– وبعد؟

– وبعد، لقد حاولت "ميتسيكو" صديقتي العمل على إنهاء حياتها بالأمس.

– عجبًا. إن الأمر يبدو لي جادًا. غير أني مازلت أكرر ما قلته



منذ قليل. لقد عفوت عنك؛ لأنك لا تعرفينني.

– ما معنى ذلك؟

– إن "ويليام ساندرسون" لا يساعد. إنه يقوم بالأعمال فقط.

صمتت.

قال:

– أنا لا أمزح.

– ولا أنا.

– لكن هذه المهمة جادة جدًا وخطيرة جدًا.

– إنك بالتأكيد لا تجيدين حسم المواقف يا آنسة "لاريو". لقد بدأ حديثنا جيداً جداً، وهانت تفسدين كل شيء بقصة غامضة.

استطردت بلهجة لاذعة:

– أنا لا أرى أن هذا اللقاء وهذا الحديث قد بدأ حسنًا. كما أني أجدك معتزًا كثيراً بشخصيتك. وهانا قد اكتشفت أني أخطأت عندما دعوتك، ولقد ندمت على ذلك.

– هل أنت متأكدة؟

– واثقة.

– في هذه الحالة..

نهض، وأطفأ سيجارته في المطفأة الموضوعة على الكومودينو، ثم سار نحو الباب.

– يا سيد "ساندرسون"!

التفت، تفرس فيها. بدا وكأنه كف عن القيام بدور ثقيل بالنسبة إليه. بل وأن الحزن بدا في عينيه.

نهضت الفتاة وأسرعت بإضافة:

– كنت أتمنى ببساطة أن تعاونني في العثور على هذا الـ "ثان دونج تيه"؛ لأنه ينبغي حتمًا القيام بكل المحاولات لمساعدة "ميتسيكو". لا يحاول المرء أن ينتحر في حجرة في فندق تبعد آلاف الكيلو مترات من مقر إقامته ببساطة للقيام بمسرحية.

قطب حاجبيه وأبدى إحساسًا إلى ناظره بأنه يفكر بعمق في مسألة مهمة. عندما تحدث من جديد، كان صوته قد تغير. بعد أن كانت نبرته جامدة، وأصبحت عميقة.

سألها:

– لماذا تتمسكين بمعاونة هذه الغريبة؟

– لكي أكون صريحة تمامًا.. أنا نفسي أجهل ذلك.

بدا دهشًا. غير أنه – في فضول – بدأ يهتم بالأمر.

– إنك موفقة يا آنسة "لاريو".

– هل تراني مبتهجة لذلك؟ إني أمقت الأمور الضعيفة.

عاد نحوها، أمسك بشعرها. ظنت أنه يعمل على القيام بمحاولة أخرى لتقبيلها ثانية. تراجعت قليلاً، لكن يد "ويليام" اكتفت بلمس خصلات شعرها الكستنائي.

– إن شعرك رائع يا آنسة "لاريو".. حقًا رائع. وكذلك عيناك.

– شكرًا على هذا الإطراء.

– إنك على حق بأن تشكريني، لأني نادرا ما أوجه مثل هذه العبارات. بالمناسبة، من هو الشخص الذي ترغب – صديقتك – في تهريبه من "الصين" في سرية؟

– خطيبها.

اتسعت حدقتا عينيه.



– أوه. قصة حب عادية!

– إن هذه القصص ليست عادية إلا لأولئك الذين ليسوا معنيين. وهل تتخيل خلاف ذلك؟

أبدى إشارة من يده؛ لكي يبت في الأمر.

– عن نفسي لم أتخيل شيئًا. لقد سبق أن قلت لك إن شيئًا واحدًا يهمني: الأعمال. غاية ما في الأمر، تمنيت أن يكون موضوعًا سياسيًا شائكًا، أو تجارة على مستوى عال.

لمعت عينا الفتاة.

– ألا تفكر إلا في المال دائمًا؟

تظاهر بالدهشة:

– بالتأكيد. فيم تتخيلين أن يكون في إمكاني التفكير في غيره؟

– أنا لا أتخيل شيئًا.

هكذا ردت له عبارته. ابتسم، لكنه لم يترك شعرها الذي كان يلاطفه على الدوام بيد شاردة.

– إذن. ألا تسعين حقًا إلى كسب من مساعدتك لصديقتك اليابانية هذه؟

– حقًا لا. هذا بالإضافة إلى أن الفتاة المسكينة ستجد أنه من الصعب عليها أن تعوضني خدماتي لها.

– ماذا؟ إنها فوق كل ذلك فقيرة؟!

حينئذ سردت "جوسيلين" الطريقة التي فقدت بها "ميتسيكو" نصف المبلغ الذي وعدت ذلك الشخص به. حك "ويليام" رأسه متظاهرًا بالحزن.

– إن لك شعراً جميلاً، لكني أعتقد أنك مجنونة لسوء الحظ. إنك بالتأكيد المخلوقة الوحيدة في "هونغ كونغ" التي تشغل بالها بمصير غيرها. هنا، الدولار هو وحده موضع الاعتبار. سوف تضطرين إلى تعلم ذلك إذا أردت أن تقيمي هنا.

– لست متمسكة بالإقامة هنا لفترة طويلة. لدي عمل ويجب أن أنفذه، ولن أقيم هنا إلا الوقت اللازم لذلك.

– أمن الممكن معرفته؟

كشفت له عن طبيعة مهمتها. تحدثت عن الأستاذ "بيلار" وعندما انتهت حك رأسه مبدياً بعض الضيق.

– لقد أدركت الآن كل شيء.

– ما هذا الكل شيء؟

– ميولك الطبية للأعمال الجيدة.

– هل أنت بطبيعتك تميل إلى التحدي، أم أنك شرس بطبيعتك؟

على ما يبدو أن هذا السؤال لم يجرحه. لقد وجه إليها سؤالاً بدوره:

– هل إلى هذا الحد يسرك أن تحملي العالم كله على كتفيك الجميلتين وهما أيضاً هزيلتان؟

خفضت رأسها ورغبت في البكاء. إن هذه اليد الرقيقة التي تلاطف شعرها تتناقض تماماً مع أفكار هذا الرجل السوداوية.

وهذا الدفء الذي يبعث به إليها كان يبعث أيضاً باليأس في نفسها. إنها خائفة منها، وكأنها تخشى مسبقاً تلك اللحظة التي ستتركها فيها هذه اليد. عندما رفعت رأسها، ووجدت أن الرؤيا



لديها مشوشة. تحاملت على نفسها. قالت له:

– في إمكانك أن تنصرف. أخشى ألا يكون لدينا ما هو ذو أهمية لكي نتبادل فيه الحديث.

تركها، وإذا بها تجد نفسها فجأة بمفردها. كانت تتمنى أن تحتجزه ولو من أجل أن تتحدث إليه، وأن ترى شفتيه تتحركان، وتعمق النظر في عينيه اللتين لا يمكن سبر غورهما. ومع ذلك لم تبد ما يجعله قريباً دائماً منها. كانت "جوسيلين" تعلم تماماً أنه إن لم يغادر حجرتها بأقصى سرعة، فسوف يأتي بحركات تتمناها وكم تخشاها. حدثت نفسها للحظة أنها تتمنى لو كان على نحو آخر، أن يكون ببساطة إنساناً. لكن ما الذي كانت ستقوم هي به أكثر من ذلك؟

– مساء الخير يا آنسة "لاريو".

تزامن صوت غلق الباب مع نهاية الجملة بالضبط. وقفت "جوسيلين" دهشة، لا تدري ولا ترغب في القيام بأقل حركة كانت، لو كان في إمكانها لنامت هنا جامدة وهي واقفة. وقد يكون ذلك في منتهى البساطة!

*****

عادت "جوسيلين" من المستشفى حوالي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي. اخترقت الصالة حتى الاستقبال؛ لكي تعرف أنه لم تصلها أي رسالة. وإذ شعرت بالتعب والملل والإحباط، صعدت لكي تحتمي في الحجرة التي اطلعت فيها على موضوع عن علم النفس خلال أكثر من ساعة. كانت تستعد لتناول عشائها

على انفراد، عندما رن جرس التليفون. رفعت السماعة، مطمئنة؛ لأنها أخيراً وجدت شيئًا ما تقوم به.

– آنسة، مساعي حميدة!

– إنك لست عجيباً.

شعرت بأن يديها نديتان. تعرفت صوت "ويليام" وبدأ قلبها يخفق بشدة.

– شككت قليلاً، لكني أردت أن أتأكد. أشكرك على صراحتك.

– ماذا تريدين؟

– تناول العشاء في "لاي شي شوغ".

– أنا لا أعرف هذا المكان، ومع ذلك أتمنى لك شهية طيبة.

كيف كانت تتصرف للحصول على الكلمات وترتيبها بمثل هذه السهولة؟ دهشت لذلك لمدة ثانية. لكن ما الذي يجعل قلبها يخفق هكذا في صدرها؟ إن هذا الشاب من أردأ الفتيات. إنه متكبر، ومنتفخ، ووقح، ولا يفكر إلا في المال. ولا شك في أنه ليست من فتاة تهتم به. إذن لماذا لم يدرك قلبها ذلك؟

– سأنتظرك خلال نصف ساعة أمام فندقك.

كادت تخضع.

– لن أتواجد هناك.

لقد جن جنونها.

وإذا بها تسمع ضحكة ترن في سماعة التليفون.

– إنك تعلمين جيداً أنه إذا..

وإذا بالخط يقطع. خفضت "جوسيلين" السماعة. تقست



نظرتها، وشحبت شفتاها، وظلت يدها ممسكة بسماعة التليفون.

أطلقت صفيراً من بين أسنانها:

– في إمكانك أن تنتظر دائمًا يا صديقي!

وها هي بعد مرور خمس وثلاثين دقيقة، تتعمق في السيارة الليموزين الخضراء التي دار محركها ببطء.

*****

– هل مازلنا بعيداً؟

لا شك في أن القلق كان بادياً في نبرة السؤال الذي وجهته الفتاة؛ لأن "ويليام" ابتسم.

– إذا لمحت أننا نسير منذ ساعات، فلا تنسي خاصة أن توقظيني؛ لأننا سنكون في "الصين الشعبية". إن المقاطعات الجديدة لا تتجاوز في عرضها الثلاثين من الكيلو مترات. ولا يبقى بعد "تاي يو" سوى ثلاث مقاطعات. ومن بعدها جسر "لو وو" الذي يعلو نهر "شام شوغ". في الواقع، سوف نصل إلى "الصين الكبرى" خلال نصف ساعة.

– وهل المقاطعة الجديدة صغيرة جداً؟

– إنها ليست سوى مقاطعة دقيقة جداً. إذا كنت مهتمة بتاريخها، فاعلمي أن رقعة الأرض الصينية هذه كان البريطانيون قد استأجروها في نهاية القرن الماضي مقابل مبلغ ضئيل ولمدة تسعة وتسعين عامًا فقط.

– وبعد؟

– بعد انتهاء مدة الإيجار، كان لابد من أن تعود قانونًا – هذه



www.rewity.com

المقاطعة الصغيرة- إلى "الصين الشعبية". وكان يوم الفاتح من شهر يوليو "تموز" عام ألف وتسعمائة وسبعة وتسعين بالضبط.

- لقد قلت كان ينبغي أن تعود؟

حكَّ "ويليام" رأسه.

- هذا ما كان موضحًا على الاتفاقية. لكن ليس هنا من يصدق هذا الالتزام.. في النهاية ها قد وصلنا.

"لاي شي شوغ" تقع شرق الولايات الجديدة، على مسافة متعادلة بين "كولون" والحدود الصينية. وهي تبدو صغيرة بجوار "تولو هاربور" وهي تملأ السماء بأضوائها المتعددة.

كانت سفن عديدة على الخليج؛ لذلك أمر "ويليام" سائق التاكسي أن يتجه إلى هناك.

عندما اقتربت "جوسيلين"، لاحظت سفينة خيزرانية ذات مقاسات مناسبة. كانت هذه السفينة راسية على بعد نحو عشرة أمتار من الشاطئ، تتلألأ بأضوائها المكونة عقدًا من المصابيح المتعددة الألوان. وكان البحر هادئًا، عدا موجة خفيفة كانت تشير إلى أن السفينة على الماء.

قادهما شاب صيني مبتسمًا إلى مائدة معدة في نهاية سطح السفينة، وكم كان إعجاب "جوسيلين" بالديكور الذهبي الرقيق الذي كان يزينها.

- هل هو أحد مطاعم "هونج كونج" العائمة الشهيرة؟

- في الحقيقة إن المطاعم العائمة الخاصة بـ"هونج كونج" راسية كلها في ميناء "أبردين". إنها مبان معدة للسياح، وهذه السفينة الخيزرانية لاتعتبر جزءًا من الفولكلور ونادرًا ما يفد إليها الأوربيون.



لا يأتي إلى هنا سوى الصينيين الرهائن، ورجال الأعمال. وأيضًا، هم يلعبون عليها.

- يلعبون عليها؟!

- يتضمن أسفل سطح السفينة كل أنواع الصالات، حيث مصرح للناس بممارسة ألعاب متنوعة.

إزاء الابتسامة التي لم ينجح في إخفائها، شكت الفتاة في الحال في طبيعة اللعب الذي يقصده. هناك كانت بعض الجميلات الآسيويات جالسات إلى موائد المطعم في صحبة بعض الصينيين، لا يدعون مجالاً للشك في أنشطتهم.

أثلجت الفتاة فجأة أمام هذه المناظر، قالت:

- حقًّا.. إن تواجدي هنا غير ضروري.

بدا متضايقًا، وألقى إليها نظرة فاحصة من أعلى القائمة.

- كفِّي عن التصرف كسيدة رئيسة عمل. مفهوم؟ والأفضل أن تختاري ما ترغبين في أكله.

ترددت الفتاة لحظة، ومن شدة ضيقها تملكتها رغبة فجأة في ترك هذه السفينة وهذا الرجل الذي يعاملها بكل جفاف وفظاظة. كادت تنهض، ولكنها تخلت عن هذه الفكرة عندما فكرت في المكان الذي هي فيه. كانت تجهل تمامًا من أي جانب توجد "هونج كونج" ولم تلمح أي تاكسي على الطريق. حدث هذا في الوقت نفسه الذي بدأ غضبها يتبدد، تولد في أعماقها شيء آخر:

الخوف.

أخذت تراقب الجالسين بدقة، ثم انتقلت بنظرها إلى وجه "ويليام ساندرسون" الذي لوحته الشمس. امتحان طالت مدته، لو

كانت مكانه ما كانت احتملته هي ذاتها. لم تقع تحت إغراء هذا الرجل العجيب كانت تجده مزعجًا بما له من ملامح قاسية وعينين خضراوين. أوشكت على القفز عندما اكتشفت أثر الجرح العميق.

فهو جرح سكين يبدأ من عند الصدغ لكي ينتهي على الوجنة اليسرى. أثر جرح قديم لم يسبق لها مشاهدته، لكنه ظهر هنا في ضوء المصابيح العديدة.

فجأة لاحظت أن عيني "ويليام" المضيئتين توقفتا على عينيها. فكرت في التراجع أمام قوة هذه النظرة، ثم امتنعت مبدية ابتسامة ضعيفة.

لم يتزحزح قناع "ساندرسون". سألها فقط بنبرته الجافة التي كانت أيضًا من دواعي الخوف عندها:

– هل اخترت؟

اختلست نظرة، نقلتها في الحال للمرة الأولى على قائمة الطعام التي كانت ممسكة بها. وفتحت فمها لكي تقول في غباء:

– إنها.. إنها مكتوبة باللغة الصينية!

فما كان من "ويليام" إلا أن ابتسم. ووضع القائمة على المائدة، ثم أعلن بنبرة جافة:

– سأطلب لك، وستحبينه.

حكت رأسها، ونظرت إليه. أما هو فقد أشعل سيجارة. عزمت على التغلب على هذا الخوف الذي لا يتركها، وللقيام بذلك، حولت رأسها بخفة.

ربما أنها أخطأت في القيام بذلك لأن خوفها تصاعد. هناك على



مسافة تقل عن المترين، تحت اثنين من الصينيين جالسين إلى مائدة مجاورة ينظران في اتجاههما، في انتباه وصمت.

كان أحدهما – وهو الأنحف – يتفحص عنق "ويليام" بإلحاح. كانت نظرته أقسى من الرصاص. أما الآخر وهو رجل ذو عضلات قوية تختفي تحت سترة صغيرة بالنسبة إليها، فكان يراقب الفتاة بوضوح. قرأت في عينيه ما تخشاه كل فتاة أو سيدة حكيمة. تقلصت أحشاؤها وقاومت لكي تحول انتباهها عنه.

## - 4 -

قرقشت فقط دون أن تعلم حقًا مذاق الأطعمة المقترحة. ببساطة، استنتجت أن المطبخ رقيق، وأن كل الأنواع التي بطبقها كانت ممتعة.

تكلم "ويليام" قليلاً. كان يبدو مشغولاً بمشكلة سرية، الأمر الذي أقلق الفتاة.

بعد أن ابتلع آخر لقمة، نهض ودعا "جوسيلين" أن تعمل بالمثل.

– تعالي.

اتجه نحو السلم الذي رأت عنده عدة مرات بعض الشابات الصينيات اللاتي يضعن المساحيق ويرتدين الملابس الخفيفة يخرجن منه. ولما كانت لا تتبعه بسرعة، التفت وأبدى إليها إشارة قلق.

– هيا أسرعي!

هزت رأسها وتوقفت في مكانها، يترقبها العديد من الشهود من



www.rwity.com

بينهم الرجلان المشار إليهما قبل ذلك.

– لا، أفضل العودة.

بدا قلقًا للحظة، ثم بدت بعض التجاعيد العميقة على جبينه. بدا بريق عينيه واضحًا، وفمه أصبح نحيفًا.

– إنك تمزحين على ما أعتقد؟

– ليس أقل من ذلك. لست متمسكة بالنزول إلى هذا المكان ولا سيما في صحبتك.

لقد أملى عليها الغضب والأسى هذه الكلمات الجارحة التي ندمت عليها في الحال، لكن بعد فوات الأوان. وعلى خلاف ما كانت تتوقع، رأت "ويليام" مبديًا إحدى ابتساماته الساخرة التي كم كانت تضايقه وتجعله يهز كتفيه.

– كما يحلو لك.

اختفى في السلم الحلزوني وشعرت الفتاة بالوحدة.

كانت نظرات بعض الرجال تعبر عن أفكارهم، كما أن إحدى أولئك الفتيات كانت قد أتت وجلست إلى إحدى الموائد بصحبة اثنين من الرواد، وكانت هي كذلك تراقبه بشيء من الازدراء.

حولت ظهرها إلى المجلس وتوجهت إلى الدرابزين؛ لكي تستند إليه.

ظلت على هذا الوضع فترة طويلة، تنظر – دون أن تراه– إلى هذا الساحل المضيء بأنوار متعددة.

– ليست من وردة صباح تعادل نضارتك.

انتفضت، وحولت رأسها، وإذا بها تجد بالقرب منها وجه شاب صيني بدين يتفرس فيها. كان بأصبع إحدى يديه خاتم ذو ماسة



ضخمة تعكس ضوء الشمس.

تمالكت الفتاة نفسها وقالت:

– شكرًا، لكني أفضل البقاء بمفردي.

– أدعى "كوانج وخ تسو" في خدمتك.

– أكرر شكري، وأكرر أيضًا أني أفضل البقاء بمفردي.

أبدى الشاب ابتسامة جعلت منظر شفتيه اللامعتين الضخمتين منفرًا أكثر.

– ثروتي ضخمة وساضعها تحت قدميك.

– كفى! لقد تجاوزت حدك!

عندما همت "جوسيلين" بمغادرة المكان، حفت بصدر هذا الرجل البدين. وفجاة شعرت بأن معصمها في قبضة يد ندية ورخوة. كادت تصرخ. كان المطعم من حولها قد فرغ من الرواد. ولم يعد على سطح القارب سوى الجرسون الذي يقوم برفع ما تبقى على الموائد. وعندما شعرت بأن اليد الممسكة بها تزداد صلابة، فكرت في أن تلفت نظر هذا العامل بالمطعم. اعتقدت أنها ستتوصل إلى ذلك، عندما حول الشاب نظره تجاهها، لكن للأسف لقد قرأت لا مبالاة واضحة في عينيه السوداوين. حينئذ حل الأسى مكان الثورة.

تخلصت "جوسيلين" من قبضة هذا الرجل، وأسرعت بالنزول على السلالم.

وصلت إلى قاعة. هناك فتح أمامها باب مزدوج وجدت الفتاة أنها شاذة عندما قامت بدفع هذا الباب. هناك لم تكن سوى صالة اللعب الكبرى، حيث كانت الموائد المصطفة يكسوها القماش

الأخضر الكلاسيكي. وحيث يسود السكون التام الذي لا يقطعه إلا صوت القشاط، أو زهر الطاولة وخلافه.

مسحت الصالة بنظرها. لا وجود لـ"ويليام".

اخترقت هذه الصالة العامة، وتواجدت أمام باب آخر. وعندما عزمت على فتحه إذا بشبح فارع يقف قبالها، قائلاً:

– ممنوع يا آنسة. آسف.

كادت الفتاة تختنق من الفزع.

إن الرجل الذي يمنعها من الدخول، ليس سوى الشخص ذاته الذي عمل على مضايقتها عندما كانت تتناول الطعام. هذا الشخص من تكشف نظرته عن بعض المشاعر.

قالت:

– إني أبحث عن صديق لي.

– ممنوع يا آنسة.

وكان يكرر هذا التحذير وكأنه درس حفظه عن ظهر قلب. على ما يبدو أنه كان لا يجيد النطق بالإنجليزية إلا بهذه الكلمات فقط.

ألحت "جوسيلين":

– لكن لابد لي من العثور على هذا الصديق؛ لأني في حاجة إلى التحدث إليه!

– فيما بعد يا آنسة. آسف.

– إذن إنه هنا؟

رداً عليها، ألقى الرجل إليها نظرة فاترة، دون أن يتحرك. تسبب جفافه هذا في أن الغضب تملك من "جوسيلين" فما كان منها – إذ إنها لم تحتمل مثل هذه المعاملة– إلا أنها مرت من تحت ذراع



الصيني. كان لحركتها هذه رد فعل لدى الشاب الذي أمسك بذراعها وألقى بها إلى الخلف بقوة. حينئذ صرخت الفتاة، فتحولت إليها أنظار البعض، لكنها في الوقت نفسه وجدت الفرصة للدفع بمصراع الباب. لمحته!

كان جالساً إلى إحدى الموائد بصحبة رجل آخر. رفع هذا الأخير رأسه لمشاهدة ما يحدث. وصل أمر إلى مسامعها وإذا باليد القوية تترك يدها في الحال.

تمكنت من دفع مصراعي الباب والولوج في حجرة ذات ديكور أنيق. فهي حجرة مكتب. اشتمت من خلفها رائحة الغول الصيني. أرادت أن تخطو خطوة، شعرت بأنها تجذب إلى الخلف مرة أخرى، حينئذ التفت "ويليام" وثبت نظرته الثلجية على نظرة الفتاة، ومكث على هذا الوضع إلى أن سمع صوت محدثته العذب. لم يتفوه إلا ببعض الكلمات مراقباً "جوسيلين" من خلال نظارته ذات الإطار الذهبي. من البديهي أنها لم تفهم شيئاً. وأكثر من ذلك لم تستوعب إجابة "ويليام" المختصرة وكانت أيضاً باللغة الصينية.

ارتسمت بعد ذلك ابتسامة على شفتي الرجل الأنيق ذي النظارة. كان يبدو شاباً نسبياً على الرغم من أن قمة رأسه خالية من الشعر. بإشارة من رأسه، قام بتحية الفتاة، ثم أعطى أمراً جديداً لهذا الشخص الضخم، وتحررت "جوسيلين".

– أتمنى أن تغادري هذا المكان، وسوف ألحق بك خلال عدة ثوان.

اقشعرت "جوسيلين" عندما سمعت صوته الثلجي. ازدادت



www.rewity.com

ضربات قلبه وسدد هربت من وجنتيه. وكان الصيني الأنيق - من جانبه- يراقبها دائماً والأدب واضح على ملامحه. سمعته يتوجه إلى الغوريللا بنبرة هادئة. حينئذ دعا الرجل البدين ذو العضلات "جوسيلين" إلى اتباعه.

تركت المكتب أشبه بأميرة مطعونة، وتبعت الرجل إلى إحدى موائد الـ"روليت" وهناك دعاها إلى الجلوس، ثم بناء على إشارة منه، شاهدت أعمدة حجر اللعب. اقترب منهما شخص يحب الجلوس القرفصاء، حاملاً صينية عليها أعمدة أحجار اللعب والصفائح. ارتبكت عندما رأت الرجل ذا الرداء الأسود وهو يضع أعمدة القشاط أمامه، وينسحب في صمت.

كادت "جوسيلين" لا تصدق عينيها. بحثت بنظرها عن هذا الفتوة. اكتشفت أنه عاد إلى حراسته الرزينة، الباردة، الراسخة. وفي مواجهتها كان يراقبها الرجل النحيف ذو النظرة الثلجية، والأنف الأفطس.

عندما التقت نظراتهما، تظاهر الرجل بأنه يبتسم ابتسامة مشجعة. وألقى بعد ذلك على السجادة بإحدى القطع مشيراً بوضوح إلى الفتاة أن بإمكانها أن تعمل مثله. كل هذا كان غير مفهوم.

إن "جوسيلين" قد كفت عن السعي إلى الفهم. ألقت هي أيضاً بإحدى اللوحات التي عليها رقم 24، لمحت حينئذ في تقزز أن الرقم المحفور على البلاستيك الصدفي يشير إلى الرقم 500. خمسمائة H.K دولار.

لقد أفزعها المبلغ.. أكثر من خمسمائة فرنك فرنسي.



فرحت لضخامة المبلغ. كان هذا المبلغ بالنسبة إلى جارها الصيني القصير الذي في الحلقة السادسة يعتبر صدقة. لا شك في أنه يمتلك نحو مائة عملة شبيهة بهذه.

أطالت "جوسيلين" فترة اللعب. لم تربح الرقم الأكبر سوى مرة واحدة، وكم تحمست للمبلغ الضخم الذي بدا أمامها. وإذا بها تسمع الصوت الذي أعلن:

- راهني بـ 500 على الرقم 32 وتعالي.

وضعت الفتاة القطعة المعدنية على الرقم الذي أعلنه "ويليام". انتظرت، تابعت البلية العاجية الصغيرة وهي تنتقل من خانة إلى أخرى. فتحت فمها من الدهشة عندما استقرت الكرة الدقيقة على خانة الرقم 32.

حينئذ أمرها "ويليام":

- هيا اجمعي نقودك وهيا بنا ننصرف. لقد تأخر بنا الوقت.

- لكن.. هذه النقود ليست لي.

- لقد مُنحت لك.

- نعم، لكني مع ذلك أعتبر أنها ليست لي. إني لا أمتلكها.

حك رأسه وقادها إلى الخزينة.

- يوجد في هذه الحالة سجل مبين عليه المبالغ التي يقدمها الناس الأسخياء في العطاء لصالح المشروعات النافعة. وبتسجيل اسمك سوف تقومين بعمل جليل.

قامت بالتنفيذ، وانصرفا محاطين برعاية وأيضاً برقابة مدير الكازينو الذي حياهما بحرارة. جلس "ويليام" بالقرب من "جوسيلين" في القارب التاكسي أشعل سيجارة وأعلن:



www.rewity.com

– لقد قدّرت بأخر ركة التي قمت بها.

– لم يكن في استطاعتي الاحتفاظ بهذا المبلغ الذي أفزعني.

تأثرت عندما رأته يبتسم. وفجأة شعرت بالرغبة في أن يحتويها بين ذراعيه، وأن يهمس لها بأرق العبارات وأعذبها. عوضًا عن ذلك، أردف وهو يهز رأسه:

– بالتأكيد، أعتقد أنك حقًا مجنونة؛ لأن من يخاف من مثل هذا المبلغ، لا يمكن أن يتصف بخلاف ذلك.

– لكنك قلت: "إنك قُدّرت بهذه الهبة". أليس كذلك؟

– بالضبط. كما أني لا أدعي أني أمقت جنونك، لأنه يسليني.

بدت متأثرة وقد اقتربا من الشاطئ. قالت:

– يسعدني أن ذلك أسعدك.

لم يعلق على ذلك. مر أمامها ونزل إلى الأرض بمساعدة صاحب القارب.

وعندما تواجدا في العربة أعلن:

– بالمناسبة، في إمكانك أن تخبري صديقتك ألا تفقد الأمل؛ لأن لي هنا بعض الأصدقاء الذين يعتبرون مدينين لي.

وهكذا مرت فترة الفزع وشعرت "جوسيلين" بالرغبة في أن تلقي بنفسها على عنق "ويليام"، لكن مثل هذا التصرف غير لائق بلاشك؛ لذلك تركت قلبها يخفق بمفرده.

*****

عادت إلى مسكنها متعبة، تشعر بالحر وساقاها لا يحملانها. كانت الساعة قد تعدّت الثامنة مساء. وتساءلت إذا كانت ستجد



القوة والشجاعة للنزول إلى حجرة الطعام.

عندما خرجت من الحمام، طلبت وجبة بالتليفون. ارتدت ملابس خفيفة وضمت شعرها. وأثناء ما كانت تستعد لوضع بعض الكريم على وجهها الذي لوحته الشمس، سمعت قرعات على الباب.

عندما فتحت، أدركت أن يومها لن ينتهي بسهولة فسرت لذلك.

– مساء الخير.

– مساء الخير. كنت أعد نفسي للخروج.. ظننتك الصبي المكلف بالخدمة بالطابق.

أخذ "ويليام" يلقي إليها نظرات ساخرة كعادته، عندما لا يجعلها ثلجية.

– يبدو لي أنك تستقبلينني وأنت في ملابس غير معقولة.

– لم أكن في انتظارك. لقد قضيت اليوم بأكمله مع هذا الملحق الثقافي الذي أظهر شخصيته أخيرًا. تفحصنا كل الموجودين على جسر "أبردين" وجسر "تاي بو". كما أننا استجوبنا عشرات الأطفال.

– آه! لم أطلب منك تفاصيل مهنية. كما أني أجهل نوع أنشطتك الحقيقية.

– أنا..

– لا يهم.

قاطعها بإشارة من يده، وتقدم متجهًا إلى الحجرة غير مبالٍ بها.

– أعيدي الصينية الخاصة بوجبتك. إننا مدعوان من أحد



www.rewity.com مـــر مـــوريـــة

أصدقائي القدامى.

– يا إلهي! أنا منهكة، كما أني رفعت كل المساحيق من على وجهي.

– هذه هي دائمًا الاهتمامات الأنثوية. انسي تعبك، وضعي قليلاً من المساحيق. إنه استقبال بسيط.

سألته:

– هل هذا المكان بعيد؟

وقف جامداً أمامها. أشعل سيجارة، وأطلق دخانها ثم تنهد:

– هل طالبتك بالتوجه إليه سيراً على الأقدام؟ لا يوجد هنا مكان بعيد. وإذا أخبرتك بأن المكان قريب من "تاب مان شو"، فلن تستفيدي شيئًا.

– سأعلم من ذلك أن المكان قريب من جزيرة صغيرة جداً واقعة في "مرس بيي".

انطلق حينئذ صفير من بين شفتي "ويليام".

– وكأنك تعلمت جغرافية البلد.

– وكأني.

قالت هذا وهي تبتسم والسعادة بادية على محياها.

– حسنًا، سأمنحك ربع ساعة. إن لم تأتي إلى القاعة بعد عشرين دقيقة، فساتركك لمتعة الوجبة المعدة هنا.

وخرج دون أن يستأذن، وغفلت "جوسيلين" مؤقتًا عن ساقيها المتعبتين، وعن كل ما تشعر به من تعب.

بعد سبع عشرة دقيقة، كانت الفتاة تصعد إلى السيارة الخضراء، وأثناء قيادته للسيارة عبر الـ"نوفو تيريتوار".



وعندما كانا يقطعان المسافة بالسيارة مخترقين الـ نوفو تيريتوار أي الأحياء الجديدة، تحققت من أنه يختلس النظر إلى فستانها الحريري الطويل، وكان لونه هو الكريم. كانت قد وضعت المساحيق على وجهها بعناية، على الرغم من أنها قامت بذلك خلال فترة وجيزة جداً. كما أنها كانت قد وضعت قرطًا من الألماس في أذنيها. سعدت عندما أبدى اهتمامه به. قالت:

– إن هذا القرط ورثته عن أمي. كان والدي قد أهداه إياها عند ولادتي. وإن كان الموديل ليس حديثًا، إلا أني أحبه كثيراً.

– لكنه جميل!

– حقًا؟

– أنا لا أقوم بعبارة إطراء. قلت لك إن هذه الأحجار التي به ثمينة. أقول هذا وأنا واثق بكلامي.

– هل تقوم بتجارة هذا النوع؟

– أساس التجارة الجيدة هو التنويع. إني أقوم بكل أنواع التجارة وما يعود بالفائدة.

– إنك تحب المال حقًا. أليس كذلك؟

– بالتأكيد، لأن من لا يحبه يعتبر غبيًا، ومن يمتلكه يعتبر ملكًا في هذا العالم.

– ومع ذلك، لقد أيدت وقدرت عدم اهتمامي به.

– تمامًا كما أدهش بحيوانات السيرك. إنها تدهشني وكم أعشق أن أكون دهشًا.

– شكرًا!

– إن ما أقدره – عندك – هي هذه الشخصية المركبة التي لا



WWW.REWITY.COM مـــرمـــوريـــة

أصل إلى حصرها. لم يسبق لي التقابل مع سيدة غير مهتمة. إذن أنت تعتقدين جيداً أن وضعك يسحرني.

– لا تسخر!

– هذا يشير إلى أنك لست سيدة بعد. عندما تصبحين سيدة، أخشى أن تكون نظرتك إلى الأمور المادية قد تغيرت كثيراً.

وقفت "جوسيلين" مفتوحة الفم. إنها ليست سيدة حتى الآن! أرادت أن ترد بشيء ما محسوس، غير أن الكلمات لم تسعفها، وأفكارها قد هجرت ذهنها.

– لا تغضبي، لأن من عادتي أن أنطق بالأمور حسب تفكيري فيها، حتى إذا اضطررت إلى جرح شعور الغير.

– لكنك لم تجرح شعوري...

ألقى إليها نظرة خاطفة، قبل أن ينظر إلى الطريق.

– حسناً. لأني أمقت من يتأثرون بالتفاهات.

ثم استمرت المسيرة في صمت يكاد أن يكون تاماً. وفي النهاية عندما توقفت السيارة عند شاطئ صغير منحصر في خليج دقيق، أخذت "جوسيلين" تبحث بعينيها عن وسيلة انتقال، فلم تجد. أبدت دهشتها أمام مرشدها الذي اكتفى بتنظيم خطوات سير الـ"شيفروليه". ثم ظهر شعاع ضوء وردي وذهبي في الخليج. شعاع ازداد في قوة، حتى اللحظة التي أضيء فيها القارب. كان يبدو من الشاطئ وكأنه جوهرة متلألئة على قاعدة من القطيفة الزرقاء. كما كانت الأشرعة أيضاً تضاء بانعكاس نور الكشافات المثبتة على الصواري.

حينئذ أطلقت "جوسيلين" إشارة تعجب. سمعت بعد ذلك



صوت محرك. ثم بعد دقيقة واحدة، ساعدها شاب صيني – يرتدي الكيمونو التقليدي– على الدخول إلى القارب.

وعلى سطح السفينة الخيزرانية الضخمة، كان في انتظار وصولهما أفراد عديدون. وسط الهتافات والابتسامات، وصيحات الإعجاب والسرور، كانت "جوسيلين" تشعر وكأنها نجم السفينة. وأكثر من ذلك لقد شعرت بأنها ملكة عندما أمسك "ويليام" بذراعها حتى يكون لها حامياً، وهما متجهان نحو رجل قصير، بدين إلى حد ما، ممتلئ الوجنتين، مبتسم هو أيضاً. كان هذا الأخير في ملابس من العصر السابق للصين، كان جالساً على مقعد ذي مسندين، منحوت ومطعم بالصدف بشكل يجعله أقرب ما يكون إلى عرش.

همس "ويليام" في أذن الفتاة:

– "واغ توين" يعتبر أكثر الرجال ثراء؛ إذ إن ثروته تساوي ثروة إخوان "شاو" معاً. يعرف عنه أيضاً – وهو حديث الناس– أنه من الممكن أن تتضخم ثروته، غير أنه لا يتمنى أن يُذاع هذا الخبر. فهو مشهور في "بكين" و"موسكو"، كما أنه تعرف إلى رؤساء "الولايات المتحدة" منذ خمسين عاماً. وعلى النقيض من السيدات الصينيات اللاتي تم قبولهن على قاربه القصير أنت معفية من الانحناء أمامه. الابتسامة كافية جداً.

تقدم هو ذاته وبينما كانت "جوسيلين" تتوقع أن تشاهده وهو يقوم بالتحية بإجلال، مد يده وصافح الرجل القصير الذي وجه إليه بعض العبارات الحارة باللغة الصينية، حينئذ أجابه "ويليام" باللغة نفسها.

أخيراً، استقرت نظراته على وجه "جوسيلين"، ثم نزلت ببطء بطول الفستان الحرير المطرز الذي كانت ترتديه، وصعدت لكي تتقابل مع نظرات "ويليام". نطق ببعض الكلمات التي كان "ويليام" يقوم بترجمتها فورياً للفتاة:

– المبجل، الموقر "وانج توين" يقارنك بكل زهور الحديقة السرية مجتمعة، والخاصة بالإمبراطور الصيني. وهو يؤكد أنك ستكونين فخر وتشريف حفله المتواضع.

شعرت "جوسيلين" بالحمرة تعلو وجهها حتى منبت شعرها. كافأت هذا الصيني الودود بابتسامة وقتية، أظهرت جمالها و– برفقة "ويليام" – تبعت الفريق الذي تعمق داخل السفينة الخيزرانية.

سألت:

– ألا يتكلم الإنجليزية؟

– بلى، في نفس مستوى الدوق دي "بكينجهام". غير أنه لا يوجه الكلام مباشرة إلى سيدة أبداً.

ولجوا في قاعة فسيحة جداً، إلى حد أن الفتاة كادت ألا تصدق أنها سوف تسع السفينة الخيزرانية. كانت الأرضية مغطاة بالفراء الأبيض السميك الناعم، والأرائك المنخفضة جداً تحيط بها في مشهد جميل. أما الموائد المتعددة، فكانت تحمل كميات من الصواني المليئة بالأطعمة المختلفة، هذا بالإضافة إلى الأشربة الفرنسية الموجودة في أوان معدنية بلون أصفر لامع.

أما ما كان يلفت نظر الفرنسية في الحال فكان بريق الجدران المغطاة بالنحاس المنقوش. مئات الأمتار المربعة من المعدن الذي تم



إعداده بأيدي فنانين موهوبين. ومن هنا ومن هناك، كانت الكشافات تعكس أضواءها على الأعمال الفنية المختلفة. كانت هناك عشرات التماثيل من الخزف، ومن الرخام، ومن الذهب، ولوحات رائعة من النسيج في براويز جميلة.

– شيء رائع!

لم يغفل "ويليام" عن عبارة التعجب هذه. ابتسم، وأشعل سيجارة ودعا "جوسيلين" إلى الجلوس عن يسار "وانج توين". وإذ ابتهجت مسحت الجدران بنظرها.

ثم همست محدثة نفسها: "وكانت كل قطعة من هذه القطع النحاسية المشغولة عبارة عن عمل فني بارز".

تفوه "وانج توين" بالقرب منها ببعض الكلمات إلى جاره الجالس عن يمينه، والذي لم يكن سوى "ويليام". رأت "جوسيلين" الـ"نيوزيلاندي" يميل تجاهها.

– إن "وانج توين" متمسك بطمأنة عينيك الرائعتين. إن هذه الصفائح النحاسية من الذهب الخالص.

وكان يبتسم في هدوء.

## - 5 -

لقد انتهت رقصات الباليه، وانسحبت الراقصات على أطراف أصابع الأقدام، تاركات المجال لاثنين من الخدم، حملا وسط الحلقة مائدة ذات ثلاثة قوائم تكون قفصاً. في البدء لم تميز "جوسيلين" ما بداخل هذا القفص؛ لأنها كانت متأثرة من المشروبات التي

تناولتها مع المشهيات. وأخيرا عندما أدركته، لم تصدق عينيها.

قرد!

قرد صغير ذو نظرات وديعة يتشبث بأصابعه الوردية بقضبان القفص الذهبية.

أما ما أدهش الفتاة، هو وجود فتحة مستديرة تظهر منها رأس الحيوان. رأس وردي اللون مثل الأصابع الصغيرة المتشبثة بقضبان القفص.

ظنتها في البداية إحدى هذه الفقرات التي تقدم في عُلب الليل. فجأة توقفت ابتسامتها المرحة. إنها لا تميل على الإطلاق إلى وسائل التسلية بالحيوانات. كانت تفضل مشاهدة هذا القرد حرًا طليقًا!

ومازاد من ارتباكها بعد ذلك، كان وصول شاب عملاق، عاري الصدر، حاملاً سيفًا، ذي عضلات قوية، له عينان واسعتان وشاربان رفيعان وطويلان جدًا.

ساد بعد ذلك صمت رهيب. وإذا بكشاف يسلط على قمة رأس القرد الصغير الذي أخذ يصيح كاشفًا عن أسنانه. أما "واغ توين" فكان جالسًا بلا حركة بالقرب من "جوسيلين". غير أن مظهره الجاف كان متعارضًا مع ما كان قد أبداه من تعبير ودود في البداية.

وكما في فيلم بتصوير بطيء، رأت "جوسيلين" السيف يرتفع أعلى المائدة ويتوقف لثوان. وفي القاعة المغطاة بطبقة من الذهب، كان كل المدعوين يحبسون أنفاسهم، كان يسود المكان جو ثقيل من الخوف وتوقع الشر.



وفجأة فهمت "جوسيلين"! أحست بأن قلبها يكاد أن ينفصل عن صدرها. لقد شاهدت نظرة القرد السجين، المعبرة عن الأسى. نهضت من جمودها، صاحت:

- لا!!

أولا، لم يحدث شيء. بدا المجلس وكأنه تجمد. حتى "واغ توين" كان محتفظًا بجموده. وأخيرًا سادت تمتمة عامة وتردد هذا الشخص الضخم المسلح، مصوبًا نظره نحو الفتاة.

مرت فترة وكأنها دهر، مليئة بالحزن والأسى اللذين لا يوصفان. ثم صفق "واغ توين" بيديه وعاد الجو فجأة إلى اعتداله.

ترك الرجل السيف يسقط بطول جسمه. انحنى إلى أسفل أمام سيده وانسحب في خضوع. في الحال، جرد الخادمان المائدة. وإذا براقصتين تظهران.

حينئذ فقط، حولت "جوسيلين" رأسها نحو "واغ توين" وكان هو أيضًا ينظر إليها.

وكان في نظرته سؤال رقيق لم يجد له ردًا. في النهاية، بدت على وجهه ابتسامة خفيفة، في حين أقبل اثنان من أصغر الخدم في محاولة لمساعدته على أن النهوض. قام أولا بتحية "ويليام"، ثم قام بتحية المجلس بأجمعه قبل أن يتجه إلى قاع الصالة. مر من باب يدور على محور، واختفى.

عادت الأحاديث إلى مجراها في الحال، وبدأ توزيع الشراب من جديد.

- تعالي!

صدر الأمر بطريقة قاطعة، وكان يحمل نوعًا من العداء أساء إلى

"جوسيلين"، التي تبعت "ويليام" بطريقة أوتوماتيكية حتى الجسر، حيث أمر قائد السفينة بإشارة أن يقودهما إلى الشاطئ. اقشعرت "جوسيلين". كان يعتريها إحساس بانها مريضة. ربما أنها كانت تتمنى ذلك لكي تختفي في أحد الأسرة إلى الأبد. لم تخجل لأنها كانت أصل هذا الحدث. لكنها كانت تشعر بأنها تعسة؛ لأنها اضطرت إلى إثارته. تحاملت على "واخ توين" وعلى الجلاد وعلى "ويليام" الذي لم يغفر لها تدخلها! كانت متحاملة أيضًا على الحركة البربرية، هذه التي لا تدرك معناها.

كانت السفينة تبحر الآن نحو الساحل. أشعل "ويليام" سيجارة طويلة، وكان واضحًا جدًا أنه غير مهتم بها.

– إلام تشير هذه الحركة ضد الحيوان؟

لم تمتنع عن توجيه السؤال، خشية أن تتصف بالجهل بهذه الأمور. فوجئت تقريبًا عندما سمعت صوتًا عميقًا صادرًا عن رفيقه، يرتفع بحيث يكون أعلى من صوت المحرك.

– إنه مجرد احتفال صغير، وهو قليل الانتشار منذ سقوط الحكم الصيني. هدف هذا الاحتفال هو انتزاع قمة جمجمة قرد صغير لاستخدام.. المخ.

فما كان من الفتاة– من فرط تأثرها– إلا أن صاحت:

– إنها جسارة، فظاعة!

– إنه شرف كبير أن يكون المرء مدعوًا لمثل هذا الاحتفال، كما أنها علامة تقدير كبير.

– إنه عمل بربري رهيب!

– من الممكن أن يكون هكذا في نظر إنسانة غربية، لكن ليس



في المفهوم الصيني. ولم يكن "واخ توين" قد سبق له تكريم ضيف على هذا النحو منذ أكثر من عشرين عامًا.

– يا إلهي، هل أنت موضع تقدير حتى تكون كفيلاً بمثل هذا الشرف؟!

– لست أنا المقصود، أنا الرجل الذي ليس سوى صديق قديم للأمير، إنما أنت.

صمتت.

كانت السفينة تقترب من الساحل. واضطرت إلى أن تتبع "ويليام" الذي كان يسير بخطى سريعة نحو السيارة الموضوعة تحت حراسة اثنين من الصينيين التابعين لحرس "واخ توين".

تحركت السيارة الليموزين عقب صعودها إليها مباشرة.

إذ إن "ويليام" بدأ قيادتها في الحال. بدا عليه فجأة أنه يتعجل مفارقتها. حزنت وشعرت بالرغبة في البكاء، وفعلاً سالت دمعتان من عينيها.

– آه.. أرجوك! لا داعي للدموع!

– وأنا أرجوك أيضًا، امنحني السلام، ولا تنطق بكلمة الدموع. إنك تجهل ما تتحدث عنه.

أجابها صوت عبارة عن ضحكة جافة. وتقدمت السيارة إلى الأمام. ثم بعد بضع دقائق من الصمت، وبعد أن هدأت "جوسيلين" سألته:

– لقد تكلمت عن أحد الأمراء. ما المقصود بذلك؟

ألقت إليها نظرة دهشة.

– عن "واخ توين"، عجبًا! ألم أخبرك بذلك قبل الآن؟

– لا.

أطلق نفس الضحكة الصغيرة، وسأل في وداعة مصطنعة:

– وهل إلمامك بالأمر قد يغير من الوضع أو من تصرفاتك؟

– لا.. أبداً.. وإن كان هذا الـ"واغ توين" أميراً، إلا أنه شخص وحشي.

تقلصت عضلات وجهه، ثم أردف:

– احرصي على اختيار ألفاظك أرجوك، الأمير "واغ توين" صديقي.

ثم جاء دور "جوسيلين" بإطلاق ضحكة صغيرة تعبر عن الازدراء الواضح.

– حقًا؟ إذن لك أصدقاء؟

– صديق، صديق واحد وهو الأمير "واغ توين"؛ لذلك أرجوك ألا تسببه أمامي.

اضطربت الفتاة إزاء هذه اللهجة اللاذعة. هل هذا الرجل القاسي كما يبدو، البعيد عن الأمور الإنسانية، له قلب؟ وهل له مشاعر طبيعية كسائر الناس؟

اعترتها فجأة رغبة في معرفة المزيد عنه. أخيراً أرادت أن توجه إليه العديد من الأسئلة التي كان لا يمكنه التملص من الرد عليها. ومع ذلك ظلت في هذا الشك اللذيذ الذي على الرغم من ذلك يبعث في نفسها الأمل. احتفظت بالصمت لفترة طويلة قضتها في النظر من خلف الزجاج إلى انحدار الطريق الغارق في الأنوار.

وفي النهاية، كان هو الذي قطع صمتهما بإعلانه بصوت مكتوم:



– لقد كسرت بخاطر "واغ توين". لا تشكي في ذلك.

– كان من الواجب عليك أن تحيطني علمًا بأنه أمير. حينئذ كنت – بدلاً من التدخل من قبلي بطريقة جافة كما حدث – ألقيت بنفسي تحت قدميه متوسلة إليه، وألوي يدي من اليأس. ولا شك في أنه كأمير حقيقي، كان قد سامحني في الحال وعفا عني. ألست أنا من تشبه كل الزهور مجتمعة التي في حديقة إمبراطور "الصين" السرية؟

– لا تسخري من هذا الإطراء الحقيقي، لأن الأمير يمتدح هكذا جمال امرأة منذ..

– أكثر من عشرين عامًا، مثل قصة هذا القرد المسكين؟

– أنت بالتأكيد غبية.

– شكرًا.

– وهأنا أشكر من أعماقي هذا الحدث الذي فتح لي عيني أخيراً. أنت أشبه بإناث الببغاوات التي رأيتها في طريقي. كل ما تقومين به هو الثرثرة دون أن تدركي أقوالك الغبية.

– أكرر لك شكري. إذا كان هذا لا يضايقك، اتركني هنا.

أخيراً كان لـ"ويليام" رد فعل إنساني. لقد بدت الدهشة في أوجها على وجهه الشبيه بوجه قرصان راق أثناء ما كان يتفرس في الراكبة معه. وكرد فعل، رفع قدمه من على دواسة البنزين، وبذلك تباطأت السيارة. ولما كانت "جوسيلين" واضعة يدها على المقبض حركته وإذا بالباب يفتح عن آخره، مانحًا الفرصة لدخول الريح.

مالت العجلات وتقدمت السيارة قليلاً، ثم توقفت بصورة نهائية.

– هيه. ألا تنزلين هنا؟

نزلت وهي تشبك ذراعيها على صدرها.

– ولِمَ لا؟

– لكن.. لكننا في وسط الريف. الآن بيننا وبين "كولون" بعض الكيلومترات.

– هل تعلم أن من عادة النساء أنهن يجدن السير؟ ولكن ليس دائمًا في الاتجاه الذي يتمنى الرجال مشاهدتهن فيه.

– أنت مجنونة.

– سبق وذكرت ذلك.

– هيا. اصعدي ثانية. إن هذه القصة سخيفة.

– أنا لا أدفعك إلى هذا القول.

– لكن وبعد. ماذا تريدين في النهاية؟

– اعتذارات.

فزع "ويليام"، ووقف ينظر إليها مانحًا إياها الإحساس بأنه لا يفهم. كان الشاب في ضوء اللوحة الأخضر يشبه جذع تمثال برنزي من العصور السابقة. لقد وجدته "جوسيلين" جميلاً جدًا. مرة أخرى شعرت بالرغبة في البكاء؛ لأن الأحداث كانت تدفع بهما الواحد بعيدًا عن الآخر. لكن ما السبيل إلى التراجع؟

– اعتذارات! لا..

– لا.. إذن إما أن تعتذر عن تصرفاتك كشخص نذل، وإما أن ترضى بأنك لن تراني بعد الآن.

– ماذا؟

– لقد سمعتني جيدًا.



– أعتقد أنك تمزحين! كفي عن هذا. أعتقد أن ذلك لا يفيدك.

كانت الفتاة تتوقع كل شيء، لكن ليس بالتأكيد رد الفعل الفظ الذي أبداه "ويليام".

انطلق بعد ذلك في الضحك.

أخذ يضحك، وكانت ضحكته مرحة، حقيقية، وقتية. ضحك بشدة إلى أن سعل عدة مرات، وكانت في كل مرة يشتد فيها السعال بمثابة خنجر في أحشاء "جوسيلين".

سمعت الضحك مرة أخرى وهي تعيد غلق باب السيارة بضربة قدم.

أغلقت عينيها بعد ذلك، وصمت أذنيها.

مكثت هكذا واقفة على قارعة الطريق لأطول فترة رغبت فيها عندما رأت في النهاية أن السيارة اختفت من جديد.

رفضت تصديق هذا في بادئ الأمر. عشَّمت نفسها بأن "ويليام" سيقوم بجولة صغيرة، وأنه انصرف لهذه الفكرة. إذلال بلا شك وببساطة في محاولة إثبات أنه هو الأقوى دائمًا. طال انتظارها، وهي تقنع نفسها بأن كشافات الـ"شيفروليه" سوف تظهر بسرعة. كانت الفتاة تعلم يقينًا أنه لن تكون هناك اعتذارات، بل إنه سوف يكتفي بأن يفتح لها باب السيارة، ويلقي إليها إحدى نظراته الثلجية المليئة ثقة بالنفس!

وقد تدع له الفرصة للتوسل إليها بالنظرات، ومن بعد تخضع للاحترامات والتبجيل.

أتت بعد ذلك مرحلة الشك وأخيرًا مرحلة التأكد. "ويليام" لن

يعود.

حينئذ بدأت "جوسيلين" مسيرتها ببطء وكأنها مدفوعة بواجب الاقتصاد.

قطعت الطريق في خوف تملك قلبها وجسدها. كانت تجهل تمامًا أين هي. وما هي المسافة التي تبعدها عن أول تجمع سكاني وكل ما تعلمه هو أنه يجب عليها أن تصل إلى هناك بأي ثمن. من هناك يكون في إمكانها الاتصال هاتفيًا بفندقها الذي سوف يرسل "تاكسي"، وهو ما لا شك فيه.

أخيرا كان التعب.

واصلت مسيرتها ببطء أكثر. وبعد ذلك وقفت للاستراحة متسائلة إذا كانت تمر بعض السيارات من هذا الطريق الصغير الذي كان في حالة سيئة. وحينئذ فقط بدأت تندم على عنادها.

أنقذت عند الاستراحة الثانية.

فجأة، بدت كشافات سيارة تشق الظلام ومن بعدها سمعت صوت فرقعة المحرك. وإذ اعتراها شيء من القلق، ألقت بنفسها على جانب الطريق مترددة بين الرغبة في إظهار نفسها والرغبة في أن تختبئ. من الممكن أن يمر أي شخص من هنا، ومن الممكن أن تكون مهددة من أحد العاطلين، بل وأكثر من ذلك.. مغتالة. لكن، لو كان في النهاية، هذا الشخص هو "ويليام"؟

أثناء ما كانت تفكر في ذلك، وصلت السيارة. تمت حركة فرملة مصدرة صوتًا قويًا. وتوقفت العربة من خلفها على بعد عشرة أمتار. ولسوء الحظ، لقد بحت أنها ليست سيارة الـ"نيوزيلاندي".

لقد كانت سيارة "أوستين" صغيرة. تمكنت من خلال الزجاج



الخلفي من تمييز رأس السائق. كان بمفرده. ازدادت مخاوف الفتاة عندما رجعت السيارة إلى الخلف وتوقفت عند مستواها. وعندما خفض الزجاج، بدا وجه الرجل: إنه شاب صيني.

قد يكون في الثلاثين من عمره. شعره طويل بعض الشيء، مصفف بعناية، وعلى شفتيه ابتسامة عريضة.

- ماذا حدث لك يا آنسة؟

كان يتكلم الإنجليزية بطلاقة، مبديًا دهشته؛ لتواجدها بمفردها. كانت نظرته توحي بأنها نظرة رجل شريف. الأمر الذي شجع الفتاة على الكذب.

- أنا.. إن سيارتي معطلة على مسافة ليست بعيدة كثيراً من هنا. وأعتقد أنه من حسن حظي أني التقيت بك.

- هل كنت متجهة إلى "كولون"؟

- نعم.

- أعتقد أنه ينبغي أن توافقي أن أصطحبك يا آنسة. الوقت قد تأخر وهذا الطريق ليس مطروقًا.

حاولت "جوسيلين" اكتشاف شيء ما على وجه الرجل، قد يظهر لها أنها معرضة للوقوع في التعامل مع شخص معتوه.

ابتسم هذا الصيني. بسط ذراعيه وهو يفتح سترته.

- طولي متر وخمسة وستون سنتيمترًا، وزني ستون كيلو جرامًا هذا بالإضافة إلى أني لست مسلحًا.. حسنا؟ بادلته الابتسامة. حكت رأسها وقالت:

- حسنًا. وهو كذلك.

ألقت بنفسها على مقعد السيارة وهي تطلق زفير اطمئنان، ثم

أغلقت عينيها أثناء ما قامت المعربة بعمل نصف دائرة.

بدأت الفتاة تتألم الآن فقط. لقد علمت أنها لن ترى "ويليام" بعد الآن.

*****

– سوف أحاول مرة أخرى. سأتصرف لكي أعود إلى "الصين". سأتقدم للعمل بالسفارة. وحتى لو كان لابد لي من قضاء سنوات أخرى، فسوف أتمكن من إخراج "تاو- لي" من "الصين الاشتراكية". في إمكاننا أن نعيش في "اليابان". إني واثقة بذلك!

ابتسمت "جوسيلين" لـ"ميتسيكو". كانت هذه الأخيرة ممددة بين الأغطية البيضاء. بدت اليابانية أنها أصبحت تدرك الموقف أفضل من قبل، كما أن كلماتها تشير جليًا إلى أنها بدأت تتذرع بالأمل؛ لذلك فضلت الفرنسية ألا تخبرها بالمشروعات الحالية، ولا أن تحدثها عن "ويليام". من هذا الجانب لقد أصبح الفشل بعيداً ولا داعي للقيام بأي إلماعات بهذا الشأن.

أردفت "جوسيلين":

– إني واثقة بأن كل شيء سوف ينتهي حسنًا جدًا بالنسبة إليكما يا "ميتسيكو". ستنفذين ما نطقت به حاليًا. غير أنه لابد لك من الحصول على مزيد من الصبر.

ابتسمت اليابانية بدورها، ومدت يدها إلى يد "جوسيلين" وصافحتها في شيء من العرفان بالجميل.

– أتعلمين أني لم أتحامل قط عليك لأنك تدخلت خلال هذه الليلة المفزعة؟



حكّت "جوسيلين" رأسها.

– متى ستخرجين من المستشفى؟

– بعد غد على ما أعتقد.

– في هذه الحالة، استريحي جيدًا. أتعشم أننا سنتقابل قبل رحيلك إلى "اليابان".

– ثقي بذلك تمامًا.

استطردت اليابانية متأثرة، لقد أقسمت. وإذا تم اتحادنا "تاو- لي" وأنا، عندما نجتمع في النهاية فإني أقسم لك بتقديم قيمة الرحلة "باريس – طوكيو" عندما أدعوك إلى حفل زفافنا.

اهتزت "جوسيلين" من ضحكة خفيفة. وعبرت بالفرنسية في تعجب:

– وهذا الخنزير هو المرشح.

– كيف؟

– لا شيء. إنها عبارة تردد في بلدنا.

كررت الجملة بالإنجليزية. سرت بمشاهدة الفتاة وهي تنطلق في الضحك.

– خنزير! (كوشون) آه. إن اللغة الفرنسية بها عذوبة.

كانت ضحكة "ميتسيكو" ترن في أذني "جوسيلين". عندما كانت تتخطى عتبة باب فندقها تسلمت تلكس في الاستقبال. كان مرسلاً من "طوكيو". فهمت في الحال أن إجازتها أوشكت على الانتهاء. وفي الواقع، أن الأستاذ "بيلار" يشير إلى وصوله يوم الاثنين القادم. قامت الفتاة وهي في المصعد بعمل عملية حسابية سريعة. أمامها خمسة أيام من الإجازة.

كان عندها أمل عريض في أن الملحق الثقافي الخلي لن يترك لها دقيقة واحدة من الراحة.. كانت الفتاة في حاجة إلى الاستغراق في العمل، حاجة ملحة لكي تنسى كل شيء.

ثم فور دخولها إلى حجرتها، رن جرس التليفون. ابتهج قلبها و- في الحال- فكرت في "ويليام".. ومنذ الليلة الماضية لم تحصل على أي خبر عنه. كانت قد خضعت، وها هو نداء هاتفي يشعل من جديد النار التي تسري في عروقها. أسرعت إلى السماعة. ولم يكن المقصود إلا موظف الاستقبال.

- لقد أحضر لك شخص مرسل رسالة، أردت التأكد من أنك ترغبين في استلامها يا آنسة واستقبال هذا الشخص.

قطبت حاجبيها، وترددت ثانية قبل أن تنطق بـ"نعم". لو كان الملحق الثقافي، لأعلن عن حضوره. ولو كان "ويليام"، لصعد كعادته دون إخطارها.

عندما سمعت ثلاث قرعات على الباب، توجهت لكي تفتح. إنه رجل صيني مسن، قد زحف الشيب إلى شعره كله تقريبا، وتكاثرت التجاعيد حول عينيه. غير أن الطيبة مجسمة كانت واضحة في نظرته. قام بالتحية على الطريقة الصينية، بكل احترام. وضع إحدى يديه على صدره وأعلن بصوت هادئ يليق بشخص مسن موقر:

- لي شرف العمل منذ فترة طويلة كسكرتير خاص لعظمة وفخامة الموقر الأمير "وانغ توين".

قال هذا وهو يقدم مظروفا بحجم بطاقة الزيارات إلى الفتاة، وتراجع خطوتين خارج إطار الباب. قال:



- إن سمو الأمير - وهو سيدي- يرجو الحصول على الرد من طرفك يا آنسة.

أشارت "جوسيلين" إلى الرجل العجوز بالدخول أثناء فتحها للظرف.

دهشت الفتاة بعد أن كانت غير مصدقة. لقد أخرجت بطاقة من الظرف. بطاقة فريدة من نوعها؛ إذ إنها كانت من الذهب. كان سمكها مليمترا، ومحفور عليها الحروف الأولى من اسم الأمير. وحتى النص كان محفورا بفن راق ومعبرا عن الآتي:

"وقد فتنه جمالك البارع. وهذه الرقة التي تميزك قد أسرته، يتقدم سمو الأمير "وانغ سوي هونغ توين" بدعوتكم إلى الحفل الذي سوف يقيمه تكريما لك هذا المساء، بدءا من الساعة التاسعة على سفينته الخيزرانية المتواضعة "جاسمان دور"".

وكان الإمضاء عبارة عن شكل معقد على المعدن اللامع. وقفت "جوسيلين" تتأمل حالة قطعة الحجر الثمين التي كانت تتلألأ بأضواء عديدة، خطفت بصر الفتاة.

إنها ماسة!

## - 6 -

اقتربت السفينة المطلية باللون الأبيض، والمزدانة بالحروف الأولى لاسم الأمير من الفتحة ذات الدرجات. حينئذ أقبل الملاحان، وعاونا الفتاة على النزول وانحنيا أمامها.

في الحال شاهدت "جوسيلين" الرجل الصيني العجوز الذي كان

قد تقدم إليها في الفندق نازلاً نحوها. انحنى هو أيضًا مبديًا ابتسامة فاترة، ودعاها إلى أن تتبعه حتى إلى سطح السفينة.

– لقد ابتهج قلبي لقدومك.

إنه الأمير "وانج سوي هونج توين" هو الذي فاه بهذه التحية بنبرته الرقيقة المميزة. كان سموه – كالمرة السابقة– جالسًا على مقعد العرش الذي يتبعه في كل مكان. لكن "جوسيلين" كانت لا تصوب نظرها إليه.

أردف:

– اسمحي لي أن أقدم لك ابني "سوهان فان شان توين".

وجدت "جوسيلين" صعوبة في إبعاد نظرها عن هذا الوجه الجميل للشاب. وكان هذا الأخير يفحصها في إعجاب. كانت عيناه سوداوين، وشعره طويلا أسود، شعر ذو خصلات غير متوقعة. ابتسم على الطريقة الفرنسية وانحنى في إجلال.

– "سوهان فان شان" هو آخر أبنائي الثمانية. لقد أتى من "أمريكا"؛ لكي يشاهد الجمال النادر الذي ليس سوى جمالك، الذي كثيرًا ما حدثته عنه هاتفيًا. وهو يقدم لك جزيل الشكر لتلبيتك دعوتي.

انحنى الشاب أمامها وبدا في عينيه بريق خاطف.

– في إمكانك أن تتكلم يا ولدي.

من الواضح أن الأمير كان في انتظار هذا التصريح. انتصب وثبت نظره على نظر "جوسيلين". قال:

– والدي، سمو الأمير الموقر "وانج سوي هونج توين"، شخص حكيم، غير أن الوصف الذي قدمه لي عنك أقل بكثير من



الحقيقة. تعالي أرجوك.

كان هذا الشاب فارعًا، نحيفًا وعندما وضعت الفتاة يدها على الذراع المقدمة لها، أحست بأن ثمة تأثيرًا لحق بها في الحال. وكان كل ذلك قد تم في حلم. سوف تستيقظ في حجرتها في الفندق وتبتسم لسذاجة أحلامها.

– أتحبين القيام بزيارة ما على ظهر هذه السفينة يا آنسة "لاريو"؟

أجابت بإيماءة تشير إلى الإعجاب حيث اقتنعت تمامًا أنها مستيقظة.

نزلت بعد ذلك برفقة الأمير الشاب إلى داخل السفينة. تفقدت كل ما هو نادر ومغطى بنفس الفراء الأبيض في القاعة الذهبية والذي كانت قد شاهدته في زيارتها الأخيرة.

وكان الأمير يتابع نظراتها، مانحًا إياها بعض المعلومات:

– إنه من حيوان الـ"فاقم"، لأنه يوجد منه عدد كبير هنا.

تبعته وقد انقطعت أنفاسها إلى رواق به فتحات مستطيلة يشاهد من خلفها ضوء أزرق.

– بالنسبة إلى هذا المكان فهو – يا آنستي– مخصص لبعض الأصدقاء والوافدين. والعرض الذي من الممكن مشاهدته فيه الذي تقدمه فنانات متخصصات، لا تتم إلا من أجل أسرتنا. انظري.

ورأت "جوسيلين".

كانت نحو عشر فتيات عاريات نسبيًا، ذوات بشرة مطلية بطبقة ذات لون ذهبي، يسبحن في مياه حمام عميق، في تشكيل رائع، يسبحن في كل الاتجاهات، مفتوحات العيون ومبتسمات، كما وأن شعورهن الطويلة كانت تتموج في هذا العنصر السائل.

اتبلت إحداهن بالقرب من إحدى النوافذ التي كانا خلفها، وقامت ببعض المناظر المتقنة قبل أن تلحق بزميلاتها.

ومن وجه الغرابة، أن "جوسيلين" لم تشعر بأي حرج أمام تلك الفتيات شبه العاريات. كن رائعات، جميلات جداً، عفيفات جداً.

وكان الأمير يبدو فخوراً بتواجده بالقرب منها. قال:

– كل تلك الراقصات على الماء فتيات طاهرات. وهن من عائلات محترمة جداً. واختيارهن يعتبر امتيازاً. لقد مررن بتدريبات قاسية. كما أنهن لا يخرجن من الماء إلا من أجل التنفس، وذلك كل ثلاث دقائق، بالدور. هذا وجدير بالذكر أنهن قادرات على القيام بهذه المشاهد طوال ساعات. هل أعجبك هذا المشهد؟

أجابت:

– نعم. جميل جداً.

ابتسم لها الأمير، وانحنى.

– شكراً، كنت واثقاً بأنه سوف ينال تقديرك. سنعود فيما بعد، إذا رغبت في ذلك.

ثم قادها إلى قاعة مغطاة كلها بالمعدن، حيث تجمعت فيها كل معدات الملاحة. حينئذ أخذ الأمير يشرح لها كيفية تشغيل الـ"رادار"، والـ"سونار"، والـ"راديو – تليفون".

– إننا من هنا نستطيع الاتصال بكل بلاد الكرة الأرضية. يقوم بذلك القمر الصناعي. فهو عنصر الصلة.

دهشت الفتاة عندما رأت سماعة مثبتة بإحكام على حامل.



اقترح عليها مرشدها:

– في إمكانك القيام بمحاولة. ستحصلين في الحال على الرقم الذي تتمنين في أي بلد كان.

– بهذه البساطة.

حك رأسه.

– حاولي، كوّني الرقم 1000 قبل تكوين الرقم المطلوب الاتصال به.

رفعت "جوسيلين" – في خجل – سماعة هذا الجهاز، وضغطت الأزرار مكونة الرقم 1000، ومن بعدها سجلت سبعة أرقام. في الثانية التالية، رن جرس التليفون، بدا قريباً جداً حتى أنها فتحت عينيها دهشة.

– آلو؟

– ماما؟

– "جوس". لكن أين أنت؟

– في "هونج كونج" يا أمي. إنني أتصل بك من هناك. اطمئني كل الأمور على ما يرام، وأنا حالياً على سفينة خيزرانية يمتلكها الأمير "سوهان فان شان".

– ما اسم الأمير؟

ابتسمت "جوسيلين". لاحظت أن الأمير ابتعد؛ لذلك أسرعت بالقول:

– سأكتب لك يا أمي تفاصيل عن هذه الأحداث. إنني مدعوة إلى حفل استقبال. كل شيء رائع هنا.

– على سفينة خيزرانية؟



www.rewity.com

– قصر، قصر عائم يا أمي. الأستاذ بيلار مازال في "طوكيو". وأنا الآن في إجازة. غاية ما في الأمر كانت لي رغبة في أن أقول لك: "أحبك يا أمي".

– كم أني سعيدة لسماع صوتك يا ابنتي. لكن هذه المكالمة سوف تكلفك مبلغًا كبيرًا. خفضي السماعة بسرعة!

– سمعًا يا أمي، ساكتب لك.

– طاب مساؤك. أكثري من الصور الفوتوغرافية خاصة؛ لأنك تعلمين جيدًا كم أني أعشق رؤية الصور. أليس كذلك؟

– بلى، بلى، بالتأكيد. إن كل شيء يتم على أكمل وجه. وبالنسبة إليك هل الأمور عندك مستقرة؟

– نعم يا ابنتي. بل وإنها ستكون أفضل من الآن فصاعدًا، طالما سمعت صوتك.

– إذن طاب مساؤك يا أمي.

– طاب مساؤك. إنك لا تعرفين. الساعة عندنا الواحدة والنصف، ليس إلا!

– حقًا. لقد غفلت عن أنك في الطرف الآخر من العالم. أقبلك يا أمي، قبلي أبي.

وعندما خفضت السماعة أتى الأمير، وأمسك بيدها؛ لكي يقودها إلى قاعة هائلة مكسوة بصفائح ذهبية، وكانت مليئة بالمدعوين. في اللحظة التي دعاها إلى الجلوس عن يمينه، انجذبت للنظرة العميقة التي تركها تستقر عليها. وإذ ارتبكت، ابتسمت وجلست.

– إن لك أجمل عينين وشعرًا حريريًا ليس له مثيل. إن عينيك



هما المشرق، وشعرك هو المغرب. فيك يوم حتى للعالم كله.

علت بعض الحمرة وجنتي "جوسيلين"، وانخفض جفناها. وارتباكها جعل والد "سوهان فان شان" يبتسم إذ كان هذا الأخير جالسًا ليس بعيدًا عنهما.

استغرقت فترة العشاء ساعتين. ثم تمت ألعاب ملاهي على المنصة الدائرية. تألمت "جوسيلين" عندما تذكرت القرد الذي كانت قد أنقذته ذات مساء.

طمأنها جارها وكأنه علم أفكارها:

– لقد أعاد والدي الحرية إلى هذا القرد. أصبح من الآن فصاعدًا لا يخشى شيئًا وأصبح مدينًا لك.

خفض صوته ومال عليها:

– لقد أحسنت بعصيانك هذا. إن والدي مازال محتفظًا ببعض عادات الأسلاف الأولين، لكن لا أتفق معه في الرأي بالنسبة لهذه الأضحية. تأكدي من أني لم أستخدم مخ قرد في حياتي.

سُرت "جوسيلين" إلى هذا الاعتراف. أردف:

– والآن تعالي، إننا لم ننه زيارة السفينة؛ لأني أريد أن تشاهدي كل ما تخفيه.

تبعته في ممر آخر تفتح عليه أبواب عديدة. وعند القاع، كانت إحداهما موضع حراسة. اثنان من الصينيين لهما قوام رياضي. انحنيا إلى أسفل أمام سيدهما، ثم فتح الباب و"جوسيلين" ولجت إلى كبينة مطلية باللون الأحمر. كان الأثاث هناك كله من صناعة صينية ذات ترف واضح. والأعمال الفنية كانت ذات ذوق رفيع. وكانت الثريا المعلقة في السقف تساعد على الإضاءة في بعض



www.rewity.com

المناطق. وكانت الموسيقى تنبعث من أماكن خفية. كما كانت هناك أريكة مكسوة بالحرير الأحمر تحتل الطول كله من هذا الدهليز، ومن حولها وسائد عديدة تدعو إلى الراحة.

صفق الأمير بيديه. بدت في الحال خادمتان شابتان في ملابس من اللاميه الذهبي والفضي، ملتزمتان الصمت التام. وكانت كل منهما تحمل صينيه ذهبية عليها كئوس. وضعتاها على مائدة منخفضة، ثم انصرفتا.

لاحظت "جوسيلين" أنه لا فتاة رفعت عينيها على سيدهما.

– تعالي اجلسي يا "جوسيلين".

كانت اللهجة الصينية تغلب عندما يتكلم الأمير، على الرغم من ثقافته المتقدمة للغات.

أطاعت، وشعرت بارتياح، وبالسعادة وبالاسترخاء. قدم لها الأمير كأساً من سائل وردي اللون، تطفو على سطحه أوراق زهور متنوعة. وإن كانت الرائحة تبدو سكرية، إلا أن الطعم كان مراً. كان رفيقها قد أفرغ كأسه، ففعلت مثله.

– حدثيني عن نفسك أيتها الفرنسية الصغيرة. أريد معرفة كل شيء.

حكت له عن حياتها، وعملها، وحدثته عن أمانيها. وكان حواراً لم يعمل الأمير على قطعة إلا نادراً جداً؛ حتى يتحقق من بعض التفاصيل. وعندما انتهت، عمق فيها النظر، فأثار هذا الفحص لديها شكلاً مجهولاً من الامتنان. كان يبدو وكأنه يرى ما بداخل روحها.

ظل صامتاً لفترة ليست بالقليلة، بدا وكأنه يفكر في مسألة



خطيرة، ومع ذلك كانت ممتعة. ثم – إذ شعرت "جوسيلين" أن ذهنها اتجه في هدوء نحو النشوة– مال عليها ووضع شفتيه على كفها.

فوجئت في البداية، ثم شعرت بقشعريرة تسري بطول عمودها الفقاري. أغلقت عينيها، واستسلمت لحلم تولّد في أعماقها.

ابتسمت – وقد استرخت – وهي لا تدري كيف تميز بين الحلم والحقيقة.

ثم كان صوت أشبه بصوت القط جعلها تفتح عينيها. بحثت عن مصدر الصوت، وفهمت عندما رأت السرير الواسع المغطى بالفراء الأبيض. غير مصدقة، تحققت من أن الأمير كان قد قادها نحو الفراش الفاخر وأنها ستنغمس في وداعة. تحققت في الوقت نفسه أن أفكارها كانت طوال هذه الفترة وهذا الخضوع أيضاً كانت كلها تتحرك بدافع من الخيال. أثناء هذه الفترة لم تكن مع الأمير، وإنما مع "ويليام".

مع "ويليام"!

فتحت عينيها على آخرهما من الدهشة والفزع، وأسرعت إلى الباب.

– "جوسيلين"!

كانت قد فتحت مصراع الباب، ودخلت إلى الدهليز دافعة بأحد الحراس كان في طريقها.

– "جوسيلين"، عودي!

أخذ قلبها يخفق بشدة في صدرها. انقطعت أنفاسها، وأخذت ساقاها تتحركان بدافع حاسة الرغبة في الهرب. ترنحت، وأخذت



www.rewity.com

تنتقل من حجرة إلى أخرى، لا تفكر إلا في الانصراف.

لكن ها هي عقبة حالت دون ذلك.

قاومت، ولولا الذراعان اللتان احتجزتاها لسقطت على الأرض. ألقت نظرة غير واثقة، وكاد يغشى عليها من السعادة.

– ويليام"!

كانت مجرد تمتمة. أسرعت إليه لاهثة وهي تردد وقد انخفض صوتها كما يحدث بعد طول صراع:

– "ويليام"! آه، "ويليام"!

ابتعدت عنها الذراعان اللتان كانتا تمسكان بها وسمعت صوتًا يقول:

– هيا بنا. تمالكي نفسك، وارتدي ملابسك.

في حيرتها وارتباكها، تفحصت الفتاة الوجه المسلط عليها. كانت نظرات "ويليام" تحتوي على الغضب وبعض الازدراء. وأخيرًا استقرت نظرات الـ"نيوزيلاندي" على فتحة صدرها.

– هل هذا يعتبر هندامًا جيدًا؟

تطلعت، فرأت أن أحد الأزرار قد سقط، كاشفًا عن جزء كبير من هذه البشرة الذهبية التي تفيض شبابًا، والناعمة مثل الحرير.

أسرعت بحمية بضم الملبس. خفضت رأسها وقد تعتمت نظرتها. أصبحت عاجزة عن التصرف، وكذلك عن الكلام. فكان هو الذي بادرها بقوله:

– تعالي. لقد حان الوقت للذهاب للنوم.

كان من الممكن أن تتقبل منه كل شيء بسرور لكن هذه اللهجة الجافة، الثلجية، أزعجتها. اعترتها رغبة في البكاء، بعد قليل



اهتزت من تأثير نحيب مؤلم.

– آه، لا. هيه لا داعي لهذا التصرف معي!

وكان "ويليام" قد تقدمها تاركًا إياها حائرة، يائسة في هذا الدهليز الضيق؛ لذلك اضطرت إلى أن تجري لكي تلحق به. وأثناء مرورها – ليس بعيدًا عن القاعة ذات الحواجز الذهبية– سمعت موسيقى وأصوات وأحاديث. جرت بأكثر سرعة، ولحقت بـ"ويليام" الذي كان يدفع أحد الأبواب.

– ما هذا؟

– آه. تعالي!

بدا في هذه المرة في قمة الضيق. استطرد وهو يجذبها داخل الحجرة:

– أسرعي، أنا لست الأمير، أنا! وليست لي أدنى رغبة في استغلال سذاجتك.

دخلت الفتاة إلى كبينة فاخرة، وقادها نحو حمام صغير، لكنه جيد. وبينما كان يمسك بشعرها لكي يجبرها بجفاف على إحناء رأسها أمام الحوض المليء بالماء. اعترضت في رخاوة:

– ماذا تفعل؟

– لا داعي للأسئلة أيتها الإوزة الصغيرة. إنك في حالة يرثى لها.

دُفعت بعنف، بذلك تم غمر وجهها في الماء. اختنقت عندما نزل تيار ثلجي على عنقها.

– أنت مجنون!

كانت قد صاحت وهي تتصارع في رخاوة، الأمر الذي جعلها



www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

تسعل بطريقة بائسة. شهقت واغرورقت عيناها بالدموع؛ لذلك لم تر بوضوح أن الكبينة تدور. سجلت الحدث، وشعرت بأن ساقيها تنثنيان تحتها، ولم تتحقق إلا من شيء واحد: "ويليام" يحملها بين ذراعيه.

أصبح جسدها ثقيلاً جداً، وتعمق في الفراء الموضوع على الفراش الوثير و.. أغلقت عينيها.

– أعتقد أن الأمور سوف تتحسن الآن.

كان صوت "ويليام" يبدو بعيداً، وغير واضح. ظنت "جوسيلين" أنه منصرف واندفعت؛ لكي تمسك به.

– لا. لا. امكث!

تشبثت بسترته كأنه طوق النجاة. أخذ قلبها يخفق بشدة ورأسها يدور أكثر فأكثر. كما أن الأسى أصبح لا يفارقها. كررت:

– امكث يا "ويليام".

– حسناً! أنا هنا.

عندما التقت عيناها بعيني "ويليام" وكان مائلاً عليها، قرأت فيهما شيئاً ما أقرب ما يكون إلى القلق.

– "ويليام"!

ثم لم تجد كلمات أخرى. إذ كان كل ما تتمناه هو أن تنطق ببساطة بهذا الاسم الذي يربك كل كيانها. هذا الاسم الذي تتمنى أن تنطق به طوال باقي حياتها لمجرد متعة الاستماع إليه.

أخيراً اقترب منها الوجه الملائكي.

ومرة أخرى حوطت عنق الـ"نيوزيلاندي" بذراعيها. وفي الحال التقت شفاههما في قبلة حارة.



كان قلب "جوسيلين" موشكاً على الانفجار.

أما الآن فإن عينيها مغلقتان. ازدادت ضربات قلبها، والدماء تتدفق إلى حد قد يحطم عروقها. وكانت ترى بعض الأضواء من تحت جفنيها. لقد أدركت واكتشفت أخيراً معنى مثل هذه القبلة.

امتنعت عندما حاول التقرب منها أكثر فأكثر. أخيراً قال لها:

– انهضي وهيا بنا ننصرف. هذا إلا إذا كنت ترغبين في العودة إلى كبينة الأمير.

انتصبت فجأة بعد الاسترخاء. لقد تمرد كل ما فيها في الوقت نفسه. وكانت ترغب في الصياح تعبيراً عن ألمها وثورتها. مدت يديها إلى الأمام؛ لكي تلمس وجه "ويليام" الذي عاد إلى جموده. لكن أظافرها التي كانت قد استعدت بها لم تلق سوى الفراغ. كادت تسقط. ولم تنقذها سوى قبضة يد الشخص الذي يعذبها. وفجأة تم القبض على معصميها. أنت.

– لا تكرر ذلك أبداً!

تعمقت العينان الزرقاوان في عينيها. باقي الوجه الحجري كان قد تغشّى بغضب بالغ. تساءلت "جوسيلين" في لحظة عما إذا كان "ويليام" سوف يندفع إلى التقرب منها.

غير أن يدي الشاب تركتاها فجأة، مترنحة، راغبة في الاختفاء في أحد الجحور، وأن تدمر فيه حتى لا تتذكر بعد الآن هذه النظرة. في هذه اللحظة رأت "ويليام" يدير لها ظهره ويختفي في الدهليز.

– القارب في انتظارنا. وأنا لن أنتظرك.



www.rewity.com مـــرمـــور

فكرت جوسيلين خفية في أنها سوف تقوم. إنها ستدعه يرحل بمفرده. وأكثر من ذلك، ستعمل على نسيانه من أجل خلاص نفسها وراحة جسدها. تمنت ذلك بحرارة وبصدق. كانت واثقة بأنها ستصل إلى ذلك.

لكنها سعدت لجبنها عندما تحركت ساقاها. لقد عجزت عن المقاومة.

## - 7 -

كانت "جوسيلين" قد ساءت حالتها. لم تكن لها رغبة في فتح عينيها لملاحظة أن الديكور لم يتغير. كان في إمكانها أن تظل هكذا في دفء الفراش خلال أسابيع وشهور، الوقت الكافي بالنسبة إليها لكي تنسى.

لكي تنسى "ويليام"!

غير أنها كانت تدرك تمامًا أن الشهور قد لا تكفيها لذلك. كانت تعلم أيضًا أنها لا تستطيع البقاء راقدة على هذا النحو بلا مبرر. تساءلت إذا ما كان هذا الصداع النصفي الخفيف الذي يؤلم رأسها يعتبر مبررًا ممتازًا لكيلا تنهض.

وأجابت عن أسئلتها بالنفي.

وعندما وطئت قدماها الموكيت، هنأت ذاتها. إن إرادتها المعتادة لا تضعف أبدًا. إنها تسيطر على الأحداث، كعادتها.

في الحمام أخذت حمامًا أعاد إليها نشاطها. وعندما كانت تمشط شعرها، رن جرس التليفون.



أعلنت لها زيارة هذا السيد الذي كان قد حضر سهرة الماضية.

قطبت الفتاة حاجبيها وهي تفتح له بابها. كان هذا الصيني ذو الشعر الأبيض والابتسامة الجميلة يختفي تقريبًا باكمله خلف باقة الزهور التي يحملها.

- لقد كلفني سمو الأمير "سوهان فان شان" ابن سيدي بتسليمك هذا يا آنسة. وهو لا ينتظر منك أي رد.

فور انصراف الرجل العجوز، وضعت "جوسيلين" زهور الزنبق والورد الأبيض على سريرها. قامت برفع خاتم الشمع الحامل للحروف التي ترمز إلى اسم الأمير، والتي تغلق لفة صغيرة. وقع بصرها في الحال على ماسة منحوتة ضخمة.

وقفت الفتاة في البدء تتأمل هذه الجوهرة. وقفت "جوسيلين" مبهورة أمام نقائها، لا تدري ما هو الهدف من هذه الهدية. ثم أتت إلى ذهنها دوامة من الخزي. إن هذا الحجر الكريم لا يمثل إلا المال. هل الأمير يفكر في قدرته على شراء كل شيء؟ شد انتباهها بعد ذلك غطاء الصندوق الصغير كانت عليه لوحة منقوشة محفور عليها ما قرأته:

"ليس أسوأ من خطيئة، من يدري؟ أتعشم أن تغفري لي خطيئتي، لأني كنت لا أدري!"

تساءلت - ساهمة - عما تعني هذه الرسالة. إلى أي شيء يلمح هذا الأمير؟ ما الذي كان لا يعرفه؟ والعديد من الأسئلة قد تبقى ما لاشك فيه بلا إجابات، لأنها كانت لا تنوي مشاهدته مرة أخرى. ليس أكثر من احتفاظها بهذه الجوهرة. كانت لا تعلم ماذا تعمل بهذا الحجر الكريم، كما أنها لا تحب النقود كثيرًا حتى

تحتفظ به وتبيعه ذات يوم. ستعيده إلى راسله عندما تتاح لها الفرصة لذلك.

استعدت الفتاة وهي في هذه الحالة الذهنية.

ثم- في الاستقبال- قامت بحجز تاكسي. إن الساعات الأولى من الفترة الصباحية ينبغي أن تقضيها بصحبه الملحق الثقافي. وفي فترة بعد الظهر ستتوجه لزيارة "ميتسيكو" المريضة. "ميتسيكو" التي لن تستطيع بالتأكيد مساعدتها في استعادة الحب.

*****

- بم تهتمين؟ ماذا تقولين؟ لقد سمعتك طوال السهرة.

ولم تكن "جوسيلين" قد نطقت بكلمة حتى الآن. كانت تسمع إلى هذا الصوت في التليفون، غير مقتنعة بأنه صوت "ويليام". في النهاية، لما كان واضحًا أن الـ"نيوزيلاندي" ينتظر ردها، أطلقت زفيرًا قبل أن تصيح:

- على أي حال، لست مدينة لك بشيء. أليس كذلك؟ لقد قضيت سهرتي فيما كنت أرغب فيه.

- هذا شأنك، لكني فقدت وقتًا طويلاً. سأكون أمام فندقك خلال عشر دقائق. حاولي ألا تجعليني أنتظر.

- لا تعتمد على ذلك.

- ما الذي لا ينبغي أن أعتمد عليه؟

- لن أكون أسفل الفندق خلال عشر دقائق.

- إذن ليس أكثر من ربع ساعة.

- لا شك في أني أخطأت في التعبير حتى أمنحك فرصة لكي



تفهمني. لا جدال يا سيد "ساندرسون". لن أراك بعد الآن.

تلا ذلك فترة صمت قصيرة، تبعتها ضحكة صغيرة. وإذ همت "جوسيلين" بخفض السماعة، سمعت صوت "ويليام" من جديد:

- لن تكوني مخطئة في هذه الحالة يا آنسة "لاريو". عن نفسي، إني أسخر من ذلك. أنا لا أعرف من تُدعى "ميتسيكو".

- ماذا؟

وكانت قد اتسعت حدقتا عينيها دهشة. سمعت مرة أخرى ضحكة صغيرة مثيرة، وعادت الحرارة إلى الخط التليفوني. لقد خفض السماعة.

بعد مرور عشر دقائق بالضبط، وعلى الرغم من التعب الذي يرجع إلى زيارتها الطويلة لجسر "تاي بو" بصحبة الملحق الثقافي الصيني، كانت قد وصلت إلى الرصيف. في اللحظة نفسها وصلت السيارة الليموزين الخضراء.

- حسنًا! لي شرف لقاء الفتيات الأنيقات اللاتي يجعلن الرجال ينتظرونهن لغرض ما.

- ليس لي أي غرض أو هدف حتى أتدلل عليك.

زاد من السرعة وابتعدت السيارة عن الرصيف.

- لقد أفادني هذا البيان. كنت أخشى أن أكوّن أفكارًا. وكما أني أنفر من الفتيات المغرضات بالنسبة إلي.

- من الممكن أن يكون هكذا، لكن ليست الأفكار أو الأغراض التي تخشاها على ما يبدو. في الواقع، يكفي أن أعرفك قليلاً لكي أدرك أنك المخلوق غير المحتمل.

- لا. لا تقذفيني بذلك؛ لأني أفضل الاحتفاظ ببعض الإلماعات



www.rewity.com

الخاصة بي.

توقف قليلاً، ثم أبدى ابتسامة ساخرة:

– إن هذا الهندام رائع!

مع أنها كانت قد ارتدت "جينز" بسيطًا باليًا بعض الشيء من عند الركبتين، وقميصًا من التيل الأبيض بسيطًا جدًا شعرت بالخجل إذ كانت قد ارتدته على هذا النحو؛ لكي تخرجه في حالة ما يكون المكان مرموقًا.

– كنت قد نزلت بالتحديد؛ لكي أسألك عن مفهوم هذه الاتصالات الهاتفية، وليس لكي أتوجه إلى إحدى تلك الحفلات التي توليها تقديرًا كبيرًا. كما أنه لم تكن لي أي رغبة في الصعود إلى هذه العربة.

أردف ساخرًا:

– بالإجماع لقد اختطفتك.

سألته:

– لماذا حدثتني عن "ميتسيكو"؟

– لأني حصلت على ارتباط.

– كيف حدث ذلك؟

– لقد أخبرتك ذات مساء أنه في إمكانك إعلان صديقتك اليابانية أني أعرف شخصًا جديرًا بحل مشكلتها؛ لذلك لم يسبق لي أني تراجعت ذات مرة عن وعودي.

– اهدأ. أنا لم أخبر "ميتسيكو" بشيء.

– هذا لا يغير شيئًا من الأمر. لقد وعدت وهانا متمسك بوعدي.



على الرغم من كل ذلك تأثرت لهذا الاهتمام النزيه. سألته بنبرة مخنوقة بعض الشيء:

– "ويليام"! لماذا تقوم بذلك؟

– سبق أن قلت لك إني لا أسحب كلمتي أبدًا.

– لا داعي للمزاح.

أبدى ابتسامة صغيرة واعترف في الحال:

– اتفقنا. سأخبرك بالحقيقة. إن شهرتي في هذه المنطقة معروفة منذ سنوات. ونزاهتي معروفة في كل مكان. لكن كلمة واحدة سيئة عني كافية لتدمير أعمالي. والجميع يعلمون أنه إذا خاب ظن امرأة، فهي لا تلبث أن تنفث مرارتها، ولن أقاوم حينئذ.

– إنك تعلم جيدًا أني لم أخبرها بشيء، مادمت في الواقع لم تعدني بشيء.

لقد خاب ظنها. تمنت أن تضايقه بسؤالها، الأمر الذي اعتبرته بداية اعتراف. لقد أتى على عكس المقصود.

لقد استخدم الأسلوب الساخر، التهكمي، الوقح، مثل شخص فظ وكان يجيد استخدامه.

لكن لكي تحمي نفسها مم؟ أو ممن؟

لم تجد الشجاعة اللازمة للرد. كانت تخشى من أن تخطئ. كانت السيارة في هذه الأثناء قد غادرت "فيكتوريا". وهي تسير الآن على الطريق المؤدي إلى هضبة "هونج كونج".

– إلى أين نحن ذاهبان؟

– صبرًا! سنصل بعد قليل.

وعلى الرغم من النبرة العادية، إلا أن "جوسيلين"، لمحت بعض



www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

الضيق في الكلمة الأولى. شعرت بأن "ويليام" متقلص أكثر مما كان يريد أن يبدو. كان واضحًا أنه متحامل عليها، وما هو أغرب من ذلك، أنه متحامل على نفسه. كان ذلك واضحًا في طريقة قبضه على عجلة القيادة. كان في إمكان الفرنسية تقبل هذا الموقف بفلسفة خاصة، لو كان ذلك قد تم في ظروف أخرى.

أردفت بنبرة واضحة:

– أمن الممكن أن أطلب منك أن تخبرني عن المطلوب مني القيام به في سيارتك، في ظلام الليل، ودون أن أكون على علم بمقر وصولها؟

ضغط الفرامل بشدة، حتى أن السيارة الثقيلة انحرفت. سمعت صدمة من الخلف تلاها العديد من الإنذارات. أطلقت "جوسيلين" صيحة آه من الدهشة، بينما نزل "ويليام" من السيارة. أغلق باب السيارة بعنف وحينئذ سمعت "جوسيلين" أصواتًا منغمة. مالت على باب السيارة، رأت رجلاً قصير القامة وعلى رأسه قبعة من الجوخ، واقفًا مضطربًا ثم دار حول سيارته الـ"أوستين" السوداء. ثم رأت "ويليام" يمد لها يده ببطاقته ثم يعود إلى الـ"شيفروليه". لكن لا يمكن أن يكون هذا مناسبًا للصيني الصغير. انطلق في ملاحقة هذا العملاق الأنيق ناطقًا بكلمات غير مفهومة.

التفت "ويليام" حينئذ ودون أن ينطق بكلمة، صوب ضربة جافة إلى القبعة التي هبطت إلى عيني مالك الـ"أوستين".

أخذت "جوسيلين" تضحك.

كانت لازالت مستغرقة في الضحك عندما عاد الـ"نيوزيلاندي" إلى عجلة القيادة. لم تميزه جيدًا بسبب ستر دموعها الذي يحجب



عنها الرؤية، لكنها تمكنت من مشاهدته مبتسمًا وهو يقود السيارة.

صدر صوت مشئوم من الخلف يصدر عن بعض الصفائح المنتزعة من السيارة. ومرة أخرى كلاكسات إنذار عديدة. تحولت ابتسامة "ويليام" إلى ضحك في هذه المرة.

– إن تعاطفك سوف يكلفك كثيرًا لتامين هذا الرجل المسكين.

– لقد سلمته بطاقتي. إن لم تكف لسداد التامين فسأتحمل كل النفقات. إن هذا التراشق بركة بالنسبة إليك. وبدونه لتركتك على الطريق.

– هذا يصبح عادة. لكن لا تهتم. كان في إمكاني احتمال مواجهة أخرى.

– إن غرورك يعميك. لست أنت المقصودة، إنما صديقتك "ميتسيكو". لأني لا أستطيع مساعدتك بالقوة، أم لا؟ الآن، كلمة أخرى وسأتركك.

– بالنسبة إلي هذا لا يهم. لكن كما ذكرتني لتوك يجب التفكير حاليًا في "ميتسيكو"؛ لذلك أسمح لنفسي أن أوجه لك السؤال مرة أخرى. إلى أين نحن ذاهبان؟

– إلى منزلي، عندي! لمقابلة شخص سوف يساعد صديقتك اليابانية.

– عندك؟ إذن أنت تقطن "هونج كونج"؟

– إني أسكن في كل مكان في العالم، لكني أمتلك منزلاً في الجزيرة أعلى "ستانلي بيي".

بعد قليل تركت الـ"شيفروليه" الطريق، متخذة طريقًا خاصًا

يخترق الخضرة. قطعت مسافة بعض المئات من الأمتار ثم توقفت أمام سياج مغلق.. من خلف ذلك، كان في إمكان "جوسيلين" مشاهدة حديقة مزدهرة في غاية الجمال. نزل "ويليام" وتوجه للتحدث في إنترفون موضوع على أحد الجدران وعاد إلى السيارة. وإذا بباب يفتح ببطء.

بعد أن قطعا بالسيارة ممشى متعرجًا يكسوه الحصى، توقفا أمام مدخل فيللا ذات طراز هوليوودي. في الحال ظهر أحد الخدم، قام بتحية الـ"نيوزيلاندي" وفتح باب السيارة لـ"جوسيلين".

دخلت الفتاة إلى قاعة فسيحة مطلية كلها باللون الأبيض، ولجت بعد ذلك في الداخل وهو مكان جميل: أريكة من الجلد الأسود كانت موضوعة إلى وسط مائدة منخفضة. وكانت أمامها، مائدة منخفضة على طراز صيني أيضًا وهي سوداء كذلك. أما الموكيت فهو أبيض والجدران كذلك، وأيضًا الستائر المزدوجة. وعلى جانبي الأريكة، كان هناك شمعدانان من البرنز منحوتين بفن، حاملين للشموع.

– تفضلي بالجلوس. ماذا تشربين؟

ثم طمأنها:

– أنا لست منحدرًا من أسرة أمراء. فلا تخشي من أن أقدم لك أحد هذه المشروبات التي قد تفقدك العقل. أنا لا أقدر سوى المشاعر الحرة.

لم تعلق الفتاة على ذلك. قدم لها عصير برتقال طازجًا. شربت بجرعات، سألته، وكان يجلس بعيدًا عنها نسبيًا، لكي يشعل سيجارة غير عادية:



– ألم يصل الشخص الذي سيقوم بمعاونة "ميتسيكو"؟

على ما يبدو أنه تضايق من هذا السؤال، صب لنفسه كأس شراب وأعلن في برود:

– من عادتي ألا أجعل من يأتون للقائي ينتظرونني؛ لذلك من الطبيعي أن أصل قبلهم.

ثم – لما كان لا يرغب في مواصلة الحديث – ضغط على زر. في الحال امتلأ المكان بالموسيقى الممتعة.

تعرفت "جوسيلين" إلى "دي لولي".

وصل مراسل "ويليام" العجيب بعد خمس دقائق. كان رجلاً رزينًا، يضع نظارة على وجهه الضخم الذي يوحي بالتحفظ. لم يبتسم، اكتفى بحك رأسه قبل أن يجلس بناء على دعوة "ويليام". غاية ما في الأمر، كان قد ألقى نظرة إلى الفرنسية، بدا منعزلاً عن كل ما هو حوله.

تبادل الرجلان بعض الكلمات باللغة الصينية، ثم توجه "ويليام" دون أي وساطة إلى "جوسيلين". قال:

– من أجل أسباب جوهرية، سيظل اسم هذا الرجل مجهولاً لك. ما عليك إلا أن تسردي له كل قصتك، وأن تستمعي بعد ذلك بانتباه إلى ما سيقوله لك.

قامت الفتاة بسرد الأحداث الخاصة بمأساة "ميتسيكو". وعندما انتهت، عض الزائر على شفته بقوة، فكر لعدة ثوان، ثم أعلن بنبرة غير مبالية:

– سآتي ثانية مساء غد. بذلك ستكون أمامك فرصة للحصول على كل التفاصيل. أريد معرفة ما هي خطة الخطيب بالضبط:



www.rewity.com

مكان وساعة الموعد، وكل ما يتعلق بشخص هذا النصيبي: عمره بالضبط، والحروف الأولى من اسمه، واسم والدته ووالده، وإذا كان له إخوة وأخوات... إلخ.. يلزمني أكبر قدر من المعلومات، هذا لكيلا تصلني أي معلومة خاطئة. وإذا كان لدى صديقتك صورة فوتوغرافية له فلتسلمها لك. إلى مساء غد، في الساعة نفسها في "جامبو فلوتنج" مطعم "أبردين" لا تخطئي، السفينة الحمراء وليست الخضراء.

ترددت "جوسيلين" برهة، ثم أشارت برأسها وقالت:

– ساكون هناك.

– سانتظرك عشر دقائق فقط. (نظر إلى الساعة التي بيده) إن لم تصلي في تمام العاشرة والخمس والأربعين دقيقة، فانسيني، ولن تتمكني من الاتصال بي. طاب مساؤك.

وكان قد نهض بحركة مرنة. مال برأسه ناحية "ويليام"، رمش بعينيه قاصداً الفتاة، ثم اختفى.

عاد السكون إلى المكان وكما لو كان "ويليام" غير محتمله. ضغط من جديد على الزر طالبًا تشغيل قناة "هاي فاي".. أقبل "لولي" لتفقد المكان.

ثم نهضت "جوسيلين". اقتربت من إحدى النوافذ الواسعة المظلمة. عمقت نظرها نحو البحر الذي كان يتلألأ بألف ضوء من أضواء القمر. وكانت موسيقى "لولي" تسمع عبر بحر الصين.

– كم أن البحر جميل!

نطقت "جوسيلين" بهذه العبارة في اندفاع مؤقت. لم تكن منتظرة أي رد ولم تحصل على رد. أخذت تراقب الصفحة الداكنة



التي لماء البحر، تنهدت ثم سألته دون أن تلتفت:

– لماذا تصرفت على هذا النحو؟

ساد بعد ذلك صمت رهيب، طالت مدته. ظنت من خلاله أنه لن يرد عليها. وفي اللحظة التي كانت لا تتوقع فيها سماع صوته، سمعته يقول:

– لا داعي لهذه الأسئلة غير المجدية. لقد سبق وعرفتك سبب هذا التصرف. عندما أرتبط لا أرجع في كلمتي أبدًا.

التفتت الفتاة، وعمقت نظرها في العينين الخضراوين اللتين كانتا تنظران إلى الأفق.

– إذن، لماذا قمت بهذا الارتباط؟

ولم تلتفت "جوسيلين" إلى النبرة التي وجهت بها سؤالها إلا مؤخرًا. إن هذا الشاب يتمتع بمزيد من التحدي، وهو من صفات كل من يسعون إلى الحصول على اعترافات متوقعة. لاحظت أيضًا تقلصًا في فكي "ويليام" الذي نهض بدوره؛ لكي يصب لنفسه كوبًا آخر.

– إني أمقت الأسئلة عامة وأسئلتك خاصة. ألا تستطيعين إذن أن تسكتي من حين إلى آخر؟

– وهل من عادتك أن تتجاهل الأسئلة التي تضايقك؟ أدانت نفسها من أجل ذلك، لكنها لم تكن قادرة على الامتناع عن الدفع بما تعتقد أنه ميزة أو فائدة. كانت تحت تأثير رغبة مجنونة في القيام بإثارة ثعبان سام، وهي تدرك أن اللدغة سوف تحدث قطعًا في نهاية المبارزة. ربما أنها رغبت في التوقف وتمنت أن تنصرف؛ لكي تفكر بذهن صاف في المشاعر المضطربة والمعقدة التي تدفعها

إلى التصرف على هذا النحو. لكنها واقفة هنا، مسمرة على هذا الموكيت، متألمة ولكن في الوقت ذاته ترغب في رد الفعل هذا الذي لابد من حدوثه.

ولقد تم رد الفعل فعلاً.

لكي تهرب من النظرات التي سوف يسلطها عليها، كانت قد عادت إلى التعمق في مشاهدة البحر الداكن اللون. وقبل أن تشعر بيده تستقر على كتفها، عرفت من نوع الهواء، والتموجات التي يرسلها. إنه كان قد اقترب. وعندما تقابلت اليد مع كتفها، سرت في جسمها قشعريرة داخلية.

ثم استقرت اليد الثانية على الكتف الأخرى.

تقلص جسم "جوسيلين"، إذ إنها خافت قبل حدوث ما كانت تتمناه.

– لقد فزت يا "جوسيلين". إني لا أجيب إلا عن الأسئلة العامة. إني أكره أن يُرغب في معرفة أكثر مما أرغب في سرده؛ لذلك لن أجيب عن سؤالك الثاني. لكن لا تتخيلي أني لست أدري أي سر الذي ربما يزيد من غرورك الأنثوي.

التفتت نحوه، وواجهته في تحد. وبالحركة التي قامت بها، جعلته يبتعد عنها، وندمت على ذلك. لم يمسك بها ثانية، بل مكث وذراعاه إلى جانبيه.

ومما يدهش له، لقد بدت التجاعيد عميقة حول فم "ويليام"، وتجاعيد دقيقة (قدم الإوزة) كانت قد ارتسمت حول عينيه. كان له هذا المظهر الواثق الرزين الذي لجراح اكتشف لتوه الداء المزمن الذي يعانيه مريضه.



أما "جوسيلين" فقد وقفت تتأمله، دون أن تنطق بكلمة، لأنها قرأت نوعًا من الأسى في نظرته، التي تبدو وكأنها لا تراها.

خفضت جفنيها، واسترخت وتنهدت:

– إنك على حق يا "ويليام". إن هذه الأسئلة لم تصدر إلا عن الغرور. وكان من الأسهل أن أقول لك..

– اسكتي!

وكان "ويليام" قد تراجع وكأنه خاف فجأة من الكلمات التي سوف تنطق بها. في الوقت نفسه، كان يبدو ثائرًا، لكن – وهو ما يدهش له – هذا الإحساس على ما يبدو غير مصوب إليها. ومع ذلك واصل بنبرة جافة:

– بالتأكيد.. إن السيدات ثرثارات، ولا يمكن إصلاحهن.

جاهدت لكي تبتسم؛ حتى تمنع توتر الموقف. لكنها لم تحصل إلا على انفراج شفتين.

– هل كنت تتخيل أني مختلفة عن سائر النساء؟

وكان ما تلا ذلك قد أتى بسرعة مذهلة، حتى أنها لم تتمكن من الدفاع عن نفسها. ولكن مالا شك فيه، أما كان في إمكانها محاولة ذلك؟

مرة أخرى استقرت يدا "ويليام" على كتفيها وتلاقت نظراتهما في سرعة جنونية. تلا ذلك قبلة كلها مرارة.

كادت تختنق وكانت تشعر بالارتياح. لاشك في أن الموت ممتع. إن هذه القبلة هي الموت. وهي كذلك القيامة بعد الموت. لقد استيقظ كل كيانها تحت هذا الفم الذي امتلكها. ولقد خفق كل جسدها مثل قلب ضخم.

لذلك عندما انفصل عنها، وعندما تراجع، ممسكًا بطرف ذراعها كمن يرغب في قراءة ما على قسمات وجهها من تعبير بطريقة أفضل، استمر جسمها في الخفقان.

وهكذا تأكدت "جوسيلين" من مشاعر "ويليام" نحوها، ومن حبه لها.

"ويليام" كان يبدو وكأنه يتكلم. كانت لا تسمع شيئًا. ثم وصلت الكلمات إلى مسامعها. وكان صوته كله مرارة.

سمعته يقول:

– لا. لا يا "جوسيلين". إنك لست سوى تخيل ليس إلا. إنك تشبهينها قليلاً فقط. إنك لست هي!

## - 8 -

لم تكن هي.

ظلت جامدة، جالسة على حافة الأريكة، باسطة كفيها شاردة، متقطعة الأنفاس ونظراتها زائغة. لم تكن هي.

وهكذا كانت كلمات "ويليام" الأخيرة ترن في أذنيها. أصبحت لا تدري أين هي، وما الذي ينبغي أن تقوم به. لقد أصيب جسدها بالشلل، وتملكتها برودة، وأصبحت غير قادرة على الحركة، هذا بالإضافة إلى أنها كانت لا ترغب في القيام بأي حركة. لقد توقف الزمن، بل ربما إنه أكثر من ذلك. إنه غير قائم.

أغلقت "جوسيلين" عينيها.

منذ متى غادر "ويليام" الحجرة؟

وهل ستراه ثانية؟



– آنسة؟

شعرت أن أحدًا يناديها. غير أنها لم تتعرف على هذا الصوت لم يكن صوت "ويليام". إذ ليس هناك من مبرر لخروجها من حالتها هذه، من أجل صوت لا تعرفه.

– آنسة؟

أخيرًا رفعت رأسها. إنه الصيني القصير واقفًا على بعد عدة خطوات منها. كان منتبهًا وقلقًا إلى حد ما. على ما يبدو أنه كان يخشى من حدث ماساوي.

– لابد أن تأتي يا آنسة.

لقد تأكدت من أنها عرفته. لم تجد قوة للدهشة.

– نعم، لقد فوجئت!

نهضت فجأة في وداعة، أمسكت بحقيبتها التي من القماش، ووضعتها على ذراعها و– يداها في جيبي الجينز الخلفيين– تبعت الشاب النحيف. وعندما أغلق باب السيارة الشيفروليه الخضراء، شعرت الفتاة وكأنهم يغلقون عليها باب عربتها الجنائزية. سُمع صوت أزيز المحرك، وعبرت السيارة سياج الحديقة.

– لا تبكي يا آنسة.

– أنا لا أبكي.

وهي تعلم أنها تكذب. إن دموعها تلسع وجنتيها. أدانت نفسها على هذا الوضع، لكن الدموع كانت تنهمر غزيرة من عينيها لا إراديًا.

– والسيد "ويليام" هكذا يا آنسة. يجب أن تدركي ذلك.

– السيد "ويليام" شخص لا يمكن فهمه يا سيد..

– أدعى هوموخ يا آنسة.

– حسنًا يا "هوموخ". لن أتوصل ذات يوم إلى فهم رئيسك على نحو جيد. أليس كذلك؟

حك السائق رأسه.

– إن لي حقًا شرف العمل كسكرتير أول للسيد "ويليام" يا آنسة، وأنا أحبه حبًا جمًا.

تمكنت "جوسيلين" من السيطرة على دموعها التي لا تعرف لها سببًا. سألته:

– إنك لم تقابلني بمحض المصادفة على الطريق في تلك الليلة. أليس كذلك؟

– لا يا آنسة. إنه السيد "ويليام" هو الذي كان قد طلب مني أن أتوجه لإحضارك. فهو لديه تليفون في سيارته.

اضطرت الفتاة أن إلى الابتسام.

– بالتاكيد، إني حقًا لست إلا دمية. يا إلهي كم أني ساذجة!

– لا تقولي هذا يا آنستي. إنك الفتاة التي يحترمها رئيس عملي أكثر من غيرها منذ...

ثم أخذ يبحث عن كلمات يختم بها جملته. أتت "جوسيلين" إلى نجدته.

– منذ أن جاءت "هي".

– المعذرة؟

– إني أقصد تلك الفتاة التي تشغل بال رئيسك.

– هل كلمك عنها؟ إن هذا دليل على ثقته بك يا آنسة.

– اشكره من طرفي على هذا التقدير.



– لا أعتقد أنه سوف يسر عندما يعلم أننا تحدثنا معًا عن كل هذه الأمور.

ظاهريًا، كان السكرتير لا يتمنى أن يفصح بأكثر من ذلك. لذلك التزمت "جوسيلين" الصمت. استرسلت لسماع صوت محرك السيارة. كانا يقتربان من "فيكتوريا" عندما قررت أن تسأل:

– من هي؟ وما اسمها؟ أريد أن أعرف كل شيء يا "هوموخ".

– آه، يا آنسة! لا! أنا سكرتير السيد "ويليام" والسكرتير الجيد لا ينبغي أن يفشي أي سر.

– توقف يا "هوموخ".

– لكن..

– أطلب منك أن تتوقف لحظة. لحظة واحدة. هذا إلا إذا كنت خائفًا مني.

رفع عينيه إلى مرآة السيارة وابتسم.

– آه.. لا يا آنسة. يبدو أنك طيبة جدًا ونزيهة جدًا.

– إذن، فلنتوقف.

أطاع "هوموخ" في هذه المرة وركن السيارة وانتظر.

– أنا لا أطالبك بخيانة رئيسك أو القيام بإفشاء أسراره يا "هوموخ"، لكن ببساطة أود أن تخبرني إذا كانت هذه الفتاة لها دور في حياة رئيسك، هذا ما أحاول معرفته وإدراكه. حاول أن تعمل شيئًا ما من أجله.

أردف الصيني:

– فتيات عديدات حاولن التقرب إليه يا آنسة، لكن ولا واحدة

تمكنت من ذلك.

بحركة سريعة، قامت الفتاة بإضاءة المصباح الملتصق بالسقف.

– "هومونغ"، انظر إليّ.

– آنسة!

– واجهني جيداً وأخبرني بكل إخلاص، إذا كنت غير كفيلة بمنح السعادة إلى رجل مثل "ويليام ساندرسون".

كانت نبرتها توسلية إلى حد أنه التفت أخيراً لكي ينظر إليها.

– غاية ما في الأمر، أنا لا أستطيع أن أتكلم في هذه الأمور.

– منذ متى وأنت موظف لدى السيد "ساندرسون"؟

وكان واضحاً أنه كان فخوراً لأنه قال:

– منذ فترة طويلة يا آنسة. لقد بدأنا العمل معاً.

– إذن.. إنك بذلك خير من يعلم كل شيء عنه. أليس كذلك؟

– لا يوجد من في وسعه ادعاء معرفة السيد "ويليام" معرفة حقيقية. غير أني بلا شك من يعرفه أكثر.

– وما هي مشاعرك بالنسبة إليه؟

– إعجاب كبير يا آنسة، كبير جداً يا آنسة. ومن ثم..

– ومن ثم؟

– إن لم يكن السيد "ويليام" رئيسي، لأكدت لك أني صديقه.

– حسناً. الآن بصفتك صديقاً، في إمكانك أن تخبرني إذا كانت هذه الفتاة على صلة قوية به، أي بالسيد "ويليام ساندرسون"..

فكر لفترة طويلة، بدا كمن يتصارع مع ضميره. في النهاية حك رأسه، والتفت وحرك السيارة مرة أخرى. ثم التزم الصمت طوال



فترة ليست بالقليلة، ولم يتكلم إلا عندما بدأ النزول إلى "فيكتوريا".

أردف:

– هي تدعى "فيرجيني" يا آنسة. كانت فتاة جميلة وذكية جداً، كما أنها – وهذا هو ما أستطيع أن أحكم به– كانت مفتونة بالسيد "ويليام". أعتقد أنه كان يبادلها المشاعر نفسها، مادام قد قرر الزواج بها.

توقف قلب "جوسيلين" عن الخفقان لمدة ثانية أو أكثر. وعندما عاد "هومونغ" للحديث كانت يداها منداتين من الخوف.

– غير أن هذه الزيجة لم تتم قط؛ لأن "فيرجيني" قد لقيت مصرعها في كارثة جوية في "الولايات المتحدة".

– شيء فظيع!

– إن كلماتك صحيحة. فعلاً شيء فظيع. خلال أسابيع، اعتقدت أن السيد "ويليام" لن يصعد الهضبة مرة أخرى؛ ليس لأنه غرق في اليأس التام، لكن لأنه عمل كثيراً في هذه الفترة بطريقة قد تميت أي رجل من الإنهاك. ومن هنا نشأت ثروته، وكذلك منذ تلك اللحظة لم يول أهمية لأي فتاة.

تمهل لحظات ثم ختم قائلاً:

– وا أسفاه! أخشى من ألا يقودك الاحترام الذي يكنه لك رئيسي إلى حيث كنت تتمنين الذهاب يا آنسة. وإني آسف لذلك!

– ليس هناك إنسان فريد من نوعه، يا "هومونغ". لماذا لا يتمكن "ويليام ساندرسون" من نسيان "فيرجيني"؟ ولماذا لا يرتبط بزوجة



www.rewity.com

أخرى؟

– يبدو لي أن سيدي يسعى إلى العثور على فتاة أخرى تكون صورة طبق الأصل للآنسة "فيرجيني".

– فعلاً.. إن المقارنة تبدو لي غير متساوية.

استندت "جوسيلين" إلى مقعدها وأغلقت عينيها، وسعت إلى الاسترخاء.

– فيما بعد يا آنسة، فيما بعد. ربما مع مرور السنين.

تنهدت "جوسيلين":

– مع مرور الزمن يا "هوموخ" أكون قد شخت.

– نعم يا آنسة. كلنا سنكون مسنين.

انطلقت السيارة بسرعة؛ لأن "هوموخ" كان يبدو متعجلاً الوصول. لا شك في أنه ندم على كل ما سرده.

طمأنته "جوسيلين" دون أن تفتح عينيها بقولها:

– لا تخش شيئًا يا "هوموخ"، لن أخبر "ويليام ساندرسون" بشيء عن كل ذلك؛ لأني لن أراه أبدًا بالتأكيد.

*****

كانت السفينة "جامبو" وهي مطعم عائم تتلألأ بكل أضوائها، بكل زينتها الذهبية. وكذلك كان خليج "أبردين" مضاء بآلاف المصابيح. وفي الظلام كانت المياه التي تطفو عليها باستمرار طبقة من القذارة، قد بدت نظيفة. لكن رائحة الشحم ومياه البحر كانت مازالت واضحة.

واصلت "جوسيلين" مسيرتها حتى إلى المطعم العائم. تقدمت



الصينية العجوز منها وابتسمت ابتسامة من فم خال من الأسنان وأجلستها في مقدمة سفينتها المطلية باللون الوردي.

عندما وطئت قدما الفتاة رواق السفينة، انحنى أمامها رئيس خدم الفندق. توجهت في الحال وجلست إلى مائدتها، وإذا بالرجل يدخل فورًا في لب الموضوع.

– هل لديك معلومات؟

ولا ابتسامة حتى، بل ولم ينهض لكي يستقبلها.

أردفت "جوسيلين":

– ألا نتناول العشاء؟

هز الصيني رأسه:

– إني متعجل جدًا يا آنسة؛ إذ يجب أن أعطي تقريرًا عما تخبريني به، وأعتقد أنه ليس أمامنا سوى القليل من الوقت.

أجابت "جوسيلين" في فتور:

– بالضبط.. هكذا كانت صديقتي وخطيبها قد قررا التنفيذ.

*****

عندما انتهت من سرد موضوعها، هز محدثها حاجبيه.

– إن هذه الخطة تبدو لي جريئة جدًا. وفي الحقيقة أعتقد أنها أول مرة يحاول فيها جندي هارب القيام بمثل هذه المغامرة.

– لقد أكدت لي "ميتسيكو" أن "تاو– لي" سباح لا مثيل له. إذ كان أحد الأبطال الدوليين في هذه الرياضة.

– في هذه الحالة..

هم الرجل بالوقوف عندما منعته "جوسيلين":

– لكنك لم تسجل أي معلومة.

لأول مرة تظاهر الصيني بالابتسام. ولمس جبينه بإبهامه الضخم. قال:

– كل المعلومات هنا يا آنسة. ضعي ثقتك في.

– حسنًا، ما الذي يجب عليّ القيام به الآن؟

– لا شيء. لا شيء بالمرة. عليك بنسيان هذه القصة ونسياني أنا كذلك. في اليوم المحدد والساعة المحددة، سوف يؤخذ "تاو- لي" على متن إحدى سفننا. أما أنت فستحصلين على مكالمة هاتفية تحيطك علمًا بالمكان الذي تستطيع صديقتك مقابلته فيه. هذا كله طاب مساؤك يا آنسة.

ثم نهض:

– سيدي! آه.. كنت أريد أن أقول.. لكن شكرًا، ها...

– لست أنا من ينبغي أن تقدمي له الشكر.

– من إذن؟

ألقى إليها الرجل نظرة من أسفل. انتصب تمامًا وأردف:

– إنك تعرفين جيدًا.

كان فمها مازال مفتوحًا عندما انصرف واختفى.

ظلت "جوسيلين" على هذا الوضع لحظة ليست بالقليلة، حائرة مشدودة بين الرغبة في البقاء والرغبة في مغادرة هذا المكان. ثم سمعت هتافات ابتهاج ومالت من أعلى الدرابزين. كان في الأسفل فريق من السياح مبتهجين لرؤية جرسونات المطعم المنهمكين في صيد سمك ضخم في قارب ملحق بالسفينة. خرج أحدهم من حجرة ملحقة والموسيقى الأمريكية عادت بأكثر قوة.



– في إمكانك النزول؛ لاختيار السمكة التي تضحي لك وحدك.

انتفضت "جوسيلين"، التفتت وإذا بها ترى وجه "ويليام". كان يراقب الناس وهم يتبادلون النداءات في مرح، في لامبالاة بادية على وجهه. ثم جلس وأشعل سيجارة، ونادى رئيس الخدم. دار بينهما حوار صغير باللغة الصينية، تبعته انحناءات من قبل الموظف. وعندما انصرف هذا الأخير سألت "جوسيلين":

– هل أوصيت بسمكة من أسماك الحوض؟

هز رأسه:

– لا، وإذا شربت كوبًا من هذا الميناء، فسوف تفهمين سبب امتناعي عن تناول هذه الأسماك. إنها تتغذى على الكلاب الميتة والوحل.

اقشعرت "جوسيلين". كانت تثبت عليه نظرة انتباه، ساعية إلى اكتشاف آثار انفجاره بالأمس. لكنها لم تجدها. مقابل ذلك، كانت هي متقلصة وكأنها مستعدة للدفاع.

– لقد طلبت لك إحدى الأنواع المحلية. أتعشم أن تعجبك.

– إني واثقة بذلك. شكرًا.

نظر إليها بغرابة، تراجع وهو على مقعده، مطلقًا دوامات من الدخان من سيجارته. طالت فترة فحصه لها، فتساءلت إذا كان في إمكانها تحمل نظراته طويلاً، قبل أن تضع يدها على هذا الوجه الجامد لكي تضع عليه تلك الملاطفة التي تحرق لها أصابعها.

إن هذه الحركة البسيطة قد تعبر عن كل ما ترغب فيه في هذه اللحظة. ولو قامت بها لاحتوت على كل الحنان الذي تشعر به نحو هذا الرجل، الحنان النابع من القلب، المنتزع من روحها. كان



www.rewity.com

من الممكن أن تخبره بأنها تدرك كل شيء، وأنها ليست متحاملة عليه بسبب فتوره ووقاحته. وكان أيضًا في إمكانها أن تخبره بأنها مستعدة لكل أنواع الصبر.

لكن بدلاً من كل ذلك، قالت ببساطة:

– شكرًا.

التفت إليها وسألها:

– شكرًا! لماذا؟

– من أجل ما تقوم به لصالح "ميتسيكو". "ميتسيكو" التي لا تعرفها.

أبدى ابتسامة خالية من المرح مناسبة له جدًا لكي يتمتم، وكأنه يحدث نفسه:

– كثيرًا ما يقوم المرء بخدمة من لا يعرفهم جيدًا على نحو أفضل.

– ماذا تقصد؟

– تقديم خدمة لشخص مجهول، يكون المرء غير مدفوع بأي إحساس. إذن الحركة خالية من أي هدف، أو غرض، أو اهتمام بهذا الشخص. وأنا أقدر هذا الوضع. إنه تصرف نبيل، سامٍ. وقد أكون لحقت بك هذا المساء من أجل ما هو أقرب إلى ذلك.

– لا أفهم قصدك.

– ولا أنت، إنك لا تعرفين "ميتسيكو"، أو أنك تعرفينها قليلاً. إذن لماذا تعملين على معاونتها؟

هزت كتفيها، وخفضت عينيها.

– لقد تأثرت لمأساتها.



ابتسم. بدا لها جميلاً إلى حد منحها رغبة في أن تلقي بنفسها على عنقه. ولكن من البديهي أنها لم تقم بذلك.

– لا تسخر. لقد تأثرت حقًا؛ لأن هذه القصص السياسية التي تمنع حبيبين من اللقاء تعتبر مقززة. من أجل ذلك حاولت أن أساعدها.

– وهل أنت تظهرين هذا الكرم دائمًا؟

– عندما تقدم لي الفرصة.

مرة أخرى بدت عليه هذه اللمحة السخيفة التي تمقتها، وقال:

– وهانت مستعدة لكل التضحيات من أجل ذلك؟ أليس كذلك؟

– إلام تلمح؟ هيه؟

صدرت نبراتها أكثر جفافًا مما كانت تتخيل حتى فوجئ "ويليام" بذلك. كما أن الرءوس المحيطة بهما تحولت في اتجاههما. أطفأ سيجارته في المطفأة.

ثم تمتم:

– بم يفيد؟ إن كل إنسان يقدر الأمور حسب قيمتها الحقيقية.

وصل الخادم. وضع الأطباق على المفرش. أثناء مروره، لاحظت الفرنسية وجود جمبري وردي اللون، غارق في صلصة ذات لون أحمر غامق.

شعرت "جوسيلين" بالتهاب في فمها فور تناولها أول قطمة. فتحته، وإذا بالدموع التي تملأ عينيها حجبت عنها الرؤية نسبيًا، ومع ذلك ميزت ابتسامة "ويليام" الساخرة.

– عامة ما يكون شاقًا في المرة الأولى، لكن بعد الاستمرار سوف

تطلبين طبقًا آخر. ولا تخشي من أن يتسخ المفرش. إنهم في "الصين" يعتبرون هذه البقع علامة للكرم. كما أنها تشير إلى أن الشخص قد شبع.

شربت بلعة شراب من نوع قوي، ومسحت عينيها وتناولت واحدة أخرى من الجمبري. سجلت - دهشة - أن "ويليام" لم يكذب عليها. لكن كم أنه لذيذ هذا الطعام على الرغم من أنه حريف.

وكان وقت التحلية، عندما شبكت ذراعيها على المفرش لكي تميل إلى الأمام. ركزت نظرها المغرورق بالدموع في نظرات الواقف أمامها، المثبت نظره على عينيها.

أردفت:

- الآن يا "ويليام" يجب أن تخبرني بمعنى إشارتك للتضحيات. يبدو أنه ارتبك لهذا الهجوم!!

- بشرفي. إن الشطة تناسبك!

- برجاء ألا تحيد عن الموضوع!

أشعل سيجارة أخرى دون أن يبعد نظره عنها، ثم أعلن:

- لابد أنها كانت رغبتك. غاية ما في الأمر أن الأمير لا يمنح شيئًا بدون مقابل لتلك الخدمة التي يقوم لك بها في شخص هذه اليابانية. تعتبر مثالاً لما يمنحه الأمير للسيدات، أو الفتيات غير النافرات.

- هذا على ألا تتخيل مع ذلك أن.. آه، يا "ويليام"!

- لا تهتمي بي أرجوك!

كاد يصيح وهو ينطق بهذه الكلمات؛ لذلك انتفضت وكانت



نظرة "ويليام" قاسية جدًا، وهو يقبض بشدة على المفرش. امتنع عن الضرب بقبضة يده على المائدة، لكن قناع الغضب لم يختف. صر على أسنانه، وأردف:

- لقد قمت بدورك كعذراء نافرة بنسبة لا بأس بها. عندما قابلتك في دهليز السفينة الخيزرانية، كدت أقع فيه. إنك بالتأكيد مرشحة خطيرة.

- "ويليام"!

- إنك مرشحة مقدسة. لقد عرفت من هذا النوع من يرغبن في الزواج من الجانب الذي اخترته، حتى أنهن لا يترددن في سرد قصص الاغتصاب. لحسن الحظ أنك لن تصلي إلى هذا الحد. لكننا لا نياس. إن لك مستقبلاً في الفساد.

- "ويليام"!

- إني أعرف الأمير. إنه خصم خطير. بالنسبة إليه فهو لا يتزوج. يجب أن تعرفيه أيضًا، طالما تمنيت أن تدخليني إلى شباكك، لكني مثل ذلك الثعلب الحاذق. أنا كذلك، أنا لا أتزوج.

- إنك ثمل!

- ليس بالقدر الكافي حتى أغفل عن الهدية الصغيرة التي أحضرها لك "سوهان فان شان توين" بصفة تعويض، ماسة نقية، هكذا علمت.

عجزت "جوسيلين" عن الكلام. وهي في قمة يأسها، نهضت، وقفزت إلى القارب الرقيق المزمع أن يوصلهما إلى اليابسة.

تحققت - في هذه اللحظة - أنها أهملت اللعب بالورقة الرابحة

في هذه اللعبة الجهنمية، التي نشبت بينها وبين "ويليام". لقد غفلت عن سرد ما قامت به خلال الفترة الصباحية. كانت قد أعادت الماسة إلى الأمير.

لكن لا أهمية لذلك. لقد حطم "ويليام" كل الروابط التي تصلهما ببعض.

لا شك في أن هذا هو سبب بكاء "جوسيلين"، عندما جلست في قاع القارب المتأرجح.

## - 9 -

"جوسيلين" نعست فقط؛ لأنها كانت لا تجد للنوم الحقيقي سبيلاً. شعرت من خلال فترة ما بين الوعي واللاوعي بأن فكرها كله تحول نحو "ويليام".

كانت تقنع ذاتها بأن تمكث هكذا، ممددة وعيناها مغلقتان وألا تتحرك. أما لو كانت في حالة يقظة تامة لغرقت في الخوف الشديد. وكان الحزن يخيم على ذهنها وهي على هذا الحال، حتى أنها حاولت ألا ترد على التليفون؛ لأنه كان يرن منذ فترة طويلة، طويلة جداً. وعوضاً عن أن تبطل رنينه ويتركها في سلام، استمر في إلحاح. أخيراً فتحت "جوسيلين" عينيها.

رأت أنه مازال الجو ظلاماً. تساءلت عن الساعة، ولما كان جرس التليفون لا يسكت أبداً، مدت ذراعها ورفعت السماعة:

- آلو؟

- "جوسيلين"! آه يا إلهي كم كنت خائفة عندما عجزت عن



الاتصال بك!

انتصبت الفرنسية في سريرها عندما تعرفت على صوت "ميتسيكو".

- "ميتسيكو"! ما الذي يحدث؟ أين أنت؟

- مازلت بالمستشفى. ولا أستطيع الخروج منه إلا صباح غد. وهكذا يكون الوقت قد تأخر لكي أخبرك بأني أخطأت.

ثم انكسر صوت اليابانية. على ما يبدو أنها موشكة على البكاء. قلقت "جوسيلين":

- ألم تسر الأمور على ما يرام يا "ميتسيكو"؟

- لقد أخطأت في الساعة. تصرفت حسب ساعتي وهأنا قد تحققت من أن كل شيء قد ضاع!

- لا أفهم قصدك.

تغيرت نبرة "ميتسيكو" وأصبحت حادة.

- يوجد تغيير كبير في التوقيت بين "اليابان" و"هونج كونج". ولن يتواجد "تاو- لي" في مقر الموعد إلا خلال أكثر من ساعة.

نظرت "جوسيلين" إلى منبه الرحلات، انتفضت. إنها الثالثة صباحاً. ثم اطمأنت.

- وهو كذلك يا "ميتسيكو"! موعدنا كما هو متفق عليه. أما الساعة المحلية فهي نفسها بين "هونج كونج" والساحل الصيني الذي يحيط بالـ"ديب بيي".

- المشكلة ليست هنا! عندما افترقنا "تاو- لي" وأنا، ولكي نحدد الاتصال بكل دقة سلمته ساعتي، وهكذا ضبط ساعته وفقاً لساعتي. لقد عدّل إحداهما، هل فهمت؟!



www.rewity.com

اتسعت حدقتا عيني "جوسيلين" في الحال، واضطرب قلبها في صدرها.

– تقصدين بذلك أن "تاو- لي" سيسافر في ساعة قبل الموعد بساعة حسب توقيت "هونج كونج" الرسمي؛ لأنك عدلت ساعتك حسب الساعة اليابانية.

– نعم.

وكان هذا الرد يحتوي على ضيق شديد. وغرقت "جوسيلين" في عرق بارد. كان هناك ما يدعو لفقد الأمل. إن "تاو- لي" في الـ"ديب بيي" ولن يتم الوصول واللقاء في "هونج كونج" بعد ساعة.

صاحت في السماعة:

– إنه جنون! لماذا عدلتما ساعتيكما على ساعة اليابان؟

– إنه رأي "تاو- لي"! كان واثقًا بأنه بذلك لن أخطئ. كان يكفيني ألا أغير ساعتي وأن أجعلها قاعدة للعملية. شيء فظيع، لقد ضاع كل شيء!

إن "جوسيلين" الآن مستيقظة تمامًا وتفكر بأقصى سرعة. وعلى عكس "ميتسيكو"، كانت لا تعتقد أن العملية فقدت تمامًا. بل إنه مازال هناك أمل.

– ضئيل!

– سوف تتحسن الأمور يا "ميتسيكو". ساخفض السماعة في الحال وأقوم باللازم. لكن لابد من العمل بسرعة كوني واثقة. سأطلبك مرة أخرى بالمستشفى.

خفضت السماعة بشدة. ثم رفعتها في الحال وطلبت من الاستقبال أن يعثر لها على رقم تليفون فيللا "ويليام ساندرسون".



اضطرت إلى الانتظار لمدة أكثر من عشر دقائق قبل أن تسمع صوت "هوموخ" الناعس.

– لابد لي من التحدث بسرعة إلى رئيسك. بسرعة فائقة!

– لكنه غير موجود يا آنسة. لقد انصرف حوالي منتصف الليل، ولن يعود قبل الفجر.

– آه! لابد لي من الاتصال به يا "هوموخ". إنها مسألة حياة أو موت.

– مستحيل يا آنسة. آسف.

– "هوموخ"!

هكذا صاحت:

– ماذا يا آنسة؟

– لابد لي من التحدث إليه. إنه أمر ضروري، لأني على علم بما سوف يقوم به "ويليام" خلال هذه الليلة.

– المعذرة يا آنسة. إني أجهل ما سوف يقوم به سيدي خلال هذه الليلة.

– "هوموخ"! ليتك تعاونني على الاتصال بـ"ويليام" فورًا، لأني أشك في أنك ستكون سكرتيره غدًا.

سمعت صوت الصيني يتنفس بقوة.

– آسف يا آنسة. إن أوامر السيد "ويليام" واضحة وليست لي أي حرية تصرف.

كادت "جوسيلين" تنتحب من الغضب. لقد تجمد الموقف. إن لم ترحل السفينة إلا في الساعة المحلية المتفق عليها فالموقف ليس في صالح "تاو- لي". شعرت بأن "هوموخ" سيخفض السماعة



www.rewity.com

عقب عبارة اللياقة المألوفة، وإذا بفكرة نيرة تتدفق إلى ذهنها المعذب. إنها بمثابة الفرصة الأخيرة.

وكان من الممكن أن تخطئ. إن لم يتواجد "ويليام" على السفينة الخيزرانية الخاصة بسمو الأمير، فإن كل شيء يكون قد ضاع.

– "هوموخ"! اطلب سفينة الأمير فور خفضي للسماعة. اطلب الاتصال برئيسك وأخبره بأن الموعد قد تقدم ساعة وهو سيفهم ما أقصده.

– لكني لا أعلم إذا كان السيد "ويليام" عند الأمير!

– لكني أنا واثقة بذلك.

وكان هذا القول خاطئًا حتمًا. ليس ما يدفع بـ"ويليام" إلى الدخول في هذه العملية. لم يكن له أي مبرر للقيام بذلك. ومع ذلك كانت "جوسيلين" متعلقة بهذا الأمل. وكان هو الوحيد.

ولكي تدفع بـ"هوموخ" إلى التصرف أوقفت الاتصال ومنذ ذلك الحين شعرت بالضياع. لقد واجهت مشكلة تفوق طاقتها. إنها الآن خائفة من أجل "ويليام" والثنائي "ميتسيكو"، "تاو- لي".

رن جرس التليفون بعد عدة دقائق. رفعت "جوسيلين" السماعة والألم يعتصرها. إنه "هوموخ".

– آسف يا آنسة. إن رقم تليفون السفينة يرن بلا توقف، إنه مشغول. لابد أن سمو الأمير يتصل من أجل أعماله في "نيويورك". إنه يقوم بذلك تقريبًا كل ليلة.

– عليك بالإلحاح!

– أشك أننا سوف ننجح يا آنسة.



ولا شك أنه بعد "نيويورك" ستكون "لوس أنجليس" أو "لندن". أو قد تكون "باريس".

– إني يائسة يا "هوموخ". ترى هل رئيسك أحاطك علما بهذا الأمر؟ وإذا كنت على علم به؟

– السيد "ويليام" لم يحدثني عن أي موضوع خاص يا آنسة.

أخذت "جوسيلين" تعض شفتها العليا.

– في هذه الحالة، لا أستطيع أن أخبرك أنا بنفسي بأي أمر كان. لكن إن لم أتصل بـ"ويليام"، فستجد صعوبة في جعله يتقبل أن نومك يتقدم على أعماله.

– أنا لم أقل هذا يا آنسة!

وفجأة بدا قلقًا. انتهزت "جوسيلين" هذه الفرصة.

– إن لم يكن هذا هو الموقف المنتظر، فاقفز في السيارة المزودة بالتليفون وأسرع لأخذي في طريقك. إن الوقت يمر يا "هوموخ"!

سمع صوت تنهد عبر الخط. ثم بدا صوت الصيني خاضعًا.

– سأكون أمام فندقك خلال عشر دقائق.

– انتظر! هل تعرف من هو كفيل بأن يؤجر لنا سفينة سريعة.

– في هذه الساعة؟

– في الحال. تصرف للقيام بهذا الحجز.

خفضت السماعة مرة أخرى، حاولت أن تسترخي بتندية جسمها بالماء البارد.

ثم بعد عشر دقائق، كانت أمام مدخل "لوك كوك"، وفي هذه اللحظة بالتحديد وصلت سيارة "هوموخ" الـ"أوستين".

*****

كانت السفينة راسية على رصيف جسر "أبردين". لم تسع "جوسيلين" إلى معرفة كيف تصرّف سكرتير "ويليام" لكي ينجح بهذه الأعجوبة في الساعة الثالثة صباحًا. كل ما نطقت به أثناء إبحارهما:

– حسنا "هوموخ".

– شكرًا يا آنسة.

هذا بالإضافة إلى أنه كان يجيد الملاحة. كانت الفتاة راسخة في مقعدها من تأثير ريح عرض البحر عليها. كانت مشبكة الذراعين على صدرها وهي تلوم نفسها؛ لأنها لم تحضر معها "بلوفر". تمكنت من مشاهدة ابتسامة على وجه السكرتير الشاب على ضوء لوحة السفينة. وعلى خلاف ما كانت تتوقع، كان يبدو مبتهجا لهذه التجربة الشاذة.

– أسرع أكثر من ذلك.

صاحت "جوسيلين"؛ لكي تغطي على الصوت الجهنمي:

– إن لم تسرع فلن نصل أبدًا إلى هناك في وقت مناسب!

لم يجب "هوموخ" بل ضغط على منظم الوقود، وفجأة كانت السفينة تهدد بالانفجار ضد الأمواج.

حينئذ فقط وجدت فرصة للاسترخاء لفترة قليلة جدًا.

*****

كانت السفينة راسية في خليج طبيعي صغير. في نهاية الـ"نوفو تيريتوار". وبالضبط، كان أعلاها ظل "كاستيل بيك" يبدو وكأنه ساهر عليها.



لم ترها "جوسيلين" إلا في اللحظة الأخيرة.

وكانت الإشارات هي وحدها التي تضيء الحجرة. ولم تكن هناك فرصة لاحتفالات على ظهرها.

ولما كاد صبر الفتاة أن ينفد، تسلقت السلم الذي كان اثنان من البحارة ينزلان منه في صمت.

– أخشى من ألا يكون لنا نفس روح الدعابة يا آنسة "لاريو".

كان صوت "ويليام". انتفضت "جوسيلين" عندما ميزت قوام الـ"نيوزيلاندي" الذي اقترب. اعترتها رغبة في أن تمسك به من العنق.

– "ويليام"!

اندفعت نحوه، لكنه أوقفها بإشارة خاصة.

– ما سبب مجيئك إلى هنا يا "هوموخ"؟

وهكذا وجه سؤاله بطريقة لاذعة متجاهلاً الفتاة.

– أقدم لك ألف اعتذار يا سيد "ويليام". إنها الآنسة "لاريو" التي انتزعتني من فراشي؛ لكي تأمرني باصطحابها عندك.

– لقد أخطأت يا "هوموخ" إن الآنسة "لاريو" ليست رئيستك. وهذا دون علمي!

– لا يا سيدي، لقد ظننت أني أتصرف حسنا.

– لقد أخطأت. من الممكن أن الآنسة "لاريو" تعتقد أنه من حقها، لكن كان ينبغي أن تعلم أنه أنا من يصدر الأوامر. وواضح أن أوامري لك رسمية.

صاحت "جوسيلين"، ورفعت وجهها لكي يلتقي بوجه "ويليام". وكان الشرر يتطاير من الغضب.

– كفى!

– تقولين؟

– أقول كفى يا "ويليام ساندرسون". لقد أحسن "هوموخ" التصرف بمرافقته لي.

– لا أعترف بذلك.

– لكن بالنسبة إلي "بلى". لقد تأخرنا ساعة.

قطب "ويليام" حاجبيه وفتح فاه. ولما كان موشكًا على النطق، ارتفع صوت من خلفه، صوت صيني.

لقد انتفض الملاحان وكانهما أخذا في حالة تلبس بالقيام بفعل رديء. حينئذٍ اقترب الأمير "وانج سوي هوخ توين" من الثلاثي. كانت الفتاة لا تميز جيداً وجه هذا العجوز. غير أن بريق نظرته كان واضحًا.

– مرحبًا بك على متن سفينتنا يا آنسة "لاريو".

أحنت "جوسيلين" رأسها في اختصار. التقاليد ستكون فيما بعد.

– إذا كنت قد حضرت إلى هنا يا سمو الأمير، فهذا لأنه كان لابد لي من مقابلة "ويليام ساندرسون" في أقرب فرصة.

– المعذرة يا آنسة.

كان الأمير قد قاطعها؛ لكي يوجه إلى "ويليام" بعض الكلمات بالصينية. وهذا الأخير أعطى رأيه فيها.

حينئذ توجه الـ"نيوزيلاندي" إلى "هوموخ" قائلاً:

– إلى السفينة. الآنسة ستلحق بك خلال بضع ثوان.

وما إن اختفى، حتى حكت "جوسيلين" كل ما كانت كشفت لها عنه "ميتسيكو". رأت فكي "ويليام" يتقلصان. أشعل



سيجارة دون أن يتكلم. أخرج بعض الدخان وهو ينظر إلى ساعته.

– أخشى من أن تفشل هذه العملية. ليس لدينا الوقت الكافي للتوجه إلى هناك. لابد أن يكون "تاو– لي" في انتظارنا. لا شك في أن خزان الأكسيجين قد نفد.

– يجب أن نحاول.

التفت "ويليام" نحو الأمير الذي خفض رأسه علامة على الإحباط.

– لابد من التوجه إلى هناك.

انتفضت الفتاة مرة أخرى. إن الأمير "سوهان فان شان" قد أقبل بالقرب من والده. ومرة أخرى تلاقت نظراته مع نظرات "جوسيلين"، ثم ارتسمت ابتسامة رقيقة على شفتيه الجميلتين.

– اعلمي يا آنسة أنك ستكونين هنا كما في منزلك. ووالدي الحاضر الآن هنا سيكون شاهداً على هذا الارتباط.

أشارت الفتاة برأسها بما يفيد أي شيء.

استطرد الأمير الصغير:

– سيكون شاهداً أيضًا مع "ويليام ساندرسون" على أني أقدم لك الآن اعتذاري العميق عما صدر مني في الليلة السابقة. إن ما تسبب لي في ذلك هو جمالك المفرط، لكن لا شك في أني كنت حينئذ مفتقراً إلى قليل من الحكمة.

– لقد سبق لك واعتذرت يا سمو الأمير. لقد عفوت عنك.

ثم انحنى الأمير أمامها. وعندما انتصب توجه إلى والده.

– أقترح يا والدي أن تمكث الآنسة "لاريو" على ظهر السفينة مادامت هي على علم بما يحدث.

– لا جدال..

وكان صوت "ويليام" لم يفقد تلك النبرة الجافة. حينئذ ابتسم الأمير العجوز.

– إني أمنح الحق في هذه المرة لـ"سوهان فان شان". إن خطته متينة جداً. في حالة فحص حرس السواحل.

– إننا نشارك الآنسة "لاريو" مصيرها.

ثم ألقى الأمر إلى "هومونج" بالانصراف، وعاد نحوهما. كانت الثورة تتنازع مع الحزن في أعماق "جوسيلين". توجه "ساندرسون" إلى الأمير:

– حسناً.. هيا بنا يا مولانا.

## - 10 -

– تعالي وسوف تفهمين.

تبعت "جوسيلين" "سوهان فان شان" على سلم من الحديد داخل السفينة الخيزرانية. هناك لا وجود للذهب في الحواجز ولا للسمور الأبيض على الأرض. كل شيء مطلي باللون الرمادي اللؤلؤلي. ذُهلت الفرنسية:

– كنت أعتقد أن السفينة الخيزرانية من الخشب مثل السفن الأخرى.

ابتسم "سوهان فان شان" وأمسك بذراعها لكي يقودها. لم تهرب منه، ها هي تعلم الآن أن الأمير لن يحاول إغراءها.

– غلاف السفينة الخارجي فقط هو الذي من الخشب. أما الباقي



فهو من الصلب. وهذه السفينة كفيلة بمقاومة أشد عاصفة، وكذلك أي مدفعية.

– رائع.. ولكن من ذا الذي يرغب في تصويب الرصاص إليك؟

– إن والدي ليس محبوباً من الجميع؛ لأن ثروته تثير الغيرة والأحقاد. وبعض الأعداء السابقين، مَن مكثوا في "الصين الكبرى"، قد يسعدهم معرفة أن سفينته غرقت.

ثم أضاف بابتسامة ساخرة:

– لا تنسي حرس الشواطئ الحمر.

شعرت "جوسيلين" بعدم الارتياح.

– أتعتقد أننا نخاطر؟

ابتسامة جديدة على محيا الأمير.

– لو شككت في ذلك لرفض فكرة إبحارك. خذي الحذر. إن هذا البغر ضيق.

كانا قد وصلا إلى فوهة أسطوانة رأسية ذات جدار مزود بقضبان. فكان أول من نزل على السلم، كما أنه عاون "جوسيلين" على النزول.

تواجدا في غرفة أسطوانية دقيقة، مضاءة بمصباح مثبت في الحاجز، لكن الأرضية كانت تدعو للدهشة أكثر. فهي من الزجاج.

– ما هذا؟

– إنه مرصد تحت الأرض خاص بي.. هنا أجد أفضل وسيلة للهرب والاختفاء. إنها غالية الثمن جداً في هذه المنطقة، كما أنها أجمل ما في الوجود. وبفضل هذا النظام سوف يتمكن خطيب

صديقتك من محاصرتنا.

– أعتقد أني فهمت. سوف يكفي إضاءة هذه الغرفة على فترات متقطعة لكي يشعر "تاو– لي" بوجودنا.

– بالضبط، سترسل إليه رسالة عبارة عن برقية على طريقة "مورس" كما كان متوقعاً في البداية وفقاً لخطتهم. والفرق الوحيد هو أن الرسالة ستعطى ليس من السطح، ولكن من الأعماق.

– المشكلة هي أن "تاو– لي" في المكان بالتأكيد. إنه في انتظارنا وزجاجاته تفرغ.

– ليس بالضرورة.. في إمكانه – مع اتخاذ بعض الاحتياطات– أن يطفو على السطح من حين إلى آخر، الأمر الذي يساعده على اقتصاد الأكسيجين.

تنهدت "جوسيلين":

– أتعشم أن يكون هكذا.

– ليس له الاختيار. سنكون هناك بعد قليل. هيا بنا نصعد. الآن نترك المجال لمتخصص الراديو. سيقوم بالبث فور دخولنا إلى المنطقة.

وكان هناك صيني شاب نزل السلم. ودون أن يلاحظ الثنائي، تمدد على الزجاج ممسكًا بيده بكشاف بطارية ضخم. كان مزمعا أن يعد الخيط الذي سوف يسمح لـ"تاو– لي" بالعثور على السفينة الخيزرانية.

وفي ممر الجسر السفلي، توقف الأمير أمام باب الكبينة، وفي هذه اللحظة بالضبط. فُتح الباب وإذا بشابة آسيوية جميلة تظهر فيه. قامت بتحية "جوسيلين" بابتسامة، ثم ركزت نظرها على وجه



الشاب. تمتمت ببعض العبارات غير المفهومة. وجاءت إجابة الأمير قصيرة، ثم دفع بـ"جوسيلين" إلى الأمام.

– هيا بنا نصعد، إن "ليوتي" ضمن الخطة.

ودون أن تدرك السبب، تواجدت الفرنسية في الهواء الطلق. ها هي السفينة الآن في عرض البحر. وكانت تعمل بمحركي ديزل ذوي قدرة فائقة. وخلف مؤخرة السفينة، كانت علامة بيضاء تنعكس تحت ضوء القمر. أما "ويليام" فكان واقفًا مستندًا إلى الدرابزين، يراقب الفراغ الهائل. في هذه اللحظة ترك الأمير "جوسيلين" بحجة إعطاء الأوامر. فتواجدت الفتاة بمفردها بصحبة الـ"نيوزيلاندي".

دون أن تنطق بكلمة، اقتربت من الدرابزين الخشبي الضخم. استندت إليه؛ لكي تعمق النظر في المياه السوداء.

مكثت هكذا لفترة بدت لها وكأنها دهر.

– سنكون هناك.

لم ينطق بشيء فريد، ومع ذلك شعرت الفتاة بأن كل كيانها قد اهتز حتى أعماق نفسها ولحمها. كانت تهتز. أحست وكأنها إنسانة أخرى. وأحبت هذا الإحساس.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يحدث لها ذلك.

– أتعتقد أننا سنصل إلى ذلك؟

– إن للأمير العجوز سبلاً كثيرة.

– لماذا تدعوه الأمير العجوز؟ مع أنه ليس مسنًا إلى هذا الحد؟

– إنه يبلغ من العمر سبعة وثمانين عامًا.

من شدة دهشتها فتحت "جوسيلين" فمها، ولم تجب بشيء.

– إذا صادفتنا مشكلة ما فيجب تنفيذ ما سأخبرك به، حتى إن لم يرق لك!

– أنا لا أرى ما لا يعجبني.

لكن "ويليام" لم يعلق. أشعل سيجارة، وأخذ يدخن دون أن يهتم بها. ثم بعد لحظة توقفت محركا السفينة وساد السكون المكان. وكانت "جوسيلين" تبحث في الظلام السائد.

– لا تبحثي. لن تري شيئًا أكثر من الغواص "تاو– لي". إن الأمور تتم هنا سرًا.

ازداد تنفس "جوسيلين" بعض الشيء.

هل خفر السواحل من الممكن أن يكونوا في الأماكن المجاورة؟

– إنهم فعلاً في المناطق المجاورة، ولقد تأكدوا من وجودنا، وهم في انتظار حدوث أي شيء قبل التدخل. لأنهم لن يتدخلوا إلا عند حدوث أي شيء حول السفينة، أو عليها.

– وكيف سيتصرف "تاو– لي"؟ هل سيستسلم؟

– من الممكن نعم، ومن الممكن لا. إذا كان ذكيًا وإذا كان قادرًا على فك رموز رسالة "ميتسيكو" التي بطريقة مورس، فسيحصل على ما يلزمه من رباطة جأش لطاعة تعليماتنا، وإلا نكون قد أصبحنا ضحايا هارب مغرض، كان مارا من هنا، ووقع تحت أيدي السلطات الاشتراكية. بعد ذلك ليس أمامنا سوى العودة إلى "هونج كونج"، وأن نغفل عن "تاو– لي".

وعامة يجب ألا يعمل حرس الشواطئ على إزعاج سفينة الأمير. إنها معروفة حتى "بكين". تكفي عدة دولارات لسد الأفواه وتهدئة النفوس.



وها هو الصمت أصبح غير محتمل. كانت "جوسيلين" في حاجة إلى سماع صوت "ويليام". لكن هذا الأخير كان قد التزم الصمت. وكان حدثًا جديدًا فُرض عليه. غير أن البحر كان يبدو خاليًا من حول السفينة. كان هادئًا ولا وجود لريح. وأخيرًا اضطرت الفتاة إلى أن تنطق. قالت:

– ما الذي يحدث؟

كانت قد تكلمت بصوت خافت جدًا، حتى أنها تساءلت إذا كان رفيقها على الأقل سمعها. وعندما تأهبت لتكرار سؤالها، كان "ويليام" قد أشار إليها بالصمت. سكتت، وانتظرت والأسى يملأ أحشاءها.

وهكذا مضت فترة من الزمن بدت لا نهائية، شعرت الفتاة خلالها بأن ضربات قلبها تزداد بلا مبرر واضح. ثم فجأة سُلط عليهما أحد الكشافات. أطلقت "جوسيلين" صرخة مكتومة، وتطلعت– مبهورة– إلى سفينة خفر السواحل وهي مقبلة عليهما.

أطلقت بعد ذلك صفارات، الواحدة تلو الأخرى. وحُوصرت السفينة.

لقد أقبلت عليها سفن ثلاث وتعتبر في الوقت نفسه سفنًا معادية، ومصدرة أصواتا مدوية. اقشعرت "جوسيلين"، واقتربت لاإراديا من "ويليام" الذي لم يتحرك ولم ينطق حتى بكلمة واحدة لطمأنتها. رأت الفتاة – كما في كابوس– مقدمات السفن البيضاء خارجة وهي من الضباب، ثم كلما اقتربت رأت أشباحًا شاحبة مثل الدمى على سطوح السفن. سمع مكبر الصوت

وصفارات إنذار دوت من كل الجهات.

فجأة، دفع "ويليام" "جوسيلين" إلى الخلف. احتمى معها في منطقة مظلة، وهمس بسرعة فائقة:

– هل تتذكرين الكبينة التي اصطحبتك إليها ذات مساء لكي تحتمي فيها؟

– نعم، أعتقد ذلك.

– إذن أسرعي إلى هناك، اخلعي ملابسك ونامي على السرير. أطفئي النور وتظاهري بالنوم. خاصة لا تغلقي الباب؛ لأنه سيحدث تفتيش.

– لكن..

– لا أدري ما الذي معهم. لكنهم مستعدون في هذه الليلة. نفّذي ما طلبته منك بأقصى سرعة، وإلا فإنهم يفتشون السفينة بدقة، والوقت غير مناسب لذلك. هيا اهربي!

كاد الخوف يمزق أحشاء "جوسيلين" التي نزلت إلى قاع السفينة.

وفي الممر تقابلت مع الأمير الشاب الذي لم يلق إليها سوى نظرة عابرة أثناء توجهه إلى الكبينة الخاصة به. وأثناء مروره، كان قد أشار إلى باب.

– إنه هنا. ادخلي بسرعة ونفذي ما طلبه منك "ويليام".

لم تدعه يكرر كلماته. وفور دخولها إلى الكبينة الفاخرة خلعت ملابسها، ودخلت بين الأغطية وكان نجاتهم متوقفة عليها. وقد أطفأت النور، وانتظرت، وترقبت أقل صوت. كانت كل الأصوات مكتومة. وحتى تتغلب على خوفها أغلقت عينيها، وجذبت



الغطاء إلى ذقنها.

انتظرت فترة بسيطة، لكنها كانت غير محتملة. وعندما سمعت الباب يفتح، فتحت عينيها على آخرهما من الخوف، كادت تصرخ عندما رأت الشبح العملاق في إطار من نور في الممر. ثم تحققت من أنه "ويليام" وتكشفت لها الحقيقة.

أُعيد غلق الباب مرة أخرى بدون صوت. أحست وكأن الرجل في حجرتها وأن كل جسمها يتأثر لوجوده. وكان في المكان ظلام تام. أخيراً خضعت لأن تغلق عينيها؛ لكي ترى بصورة أفضل. تأثر قلبها لهذا الموقف وكذلك حلقها. لقد جف فمها ومن خلف جفونها كانت ترى أضواء متعددة الألوان. اعترتها رغبة في الصياح.

إن ما تتوقعه غير محتمل.. و... مجهول. اختنقت. أرادت أن تنتصب.

ثم – بعد قليل– لم ترغب في شيء ألبتة. كان عليها من الآن فصاعداً أن تظل على هذا الوضع. تخيلت أنها ميتة دون أن تدري عندما علمت أن "ويليام" بجوارها.

قال لها:

– عندما يقبلون انتصبي وصيحي. لا تخافي ولا تخجلي، وأظهري أنك صُدمت من فضيحة وأما أنا فسوف أهتم بالباقي.

كان "ويليام" قد همس بهذه الكلمات في الأذن. وأضاف:

– هل فهمت؟

– أنا.. نعم.. أعتقد. لكنهم سوف يُضيئون النور.

– وبعد؟ قصة حب "ميتسيكو" و"تاو– لي" ألا تساوي هذه

التضحية البسيطة؟

وكان لصوته نبرة ساخرة. ومع ذلك سلمت في أعماقها بأنه كان على حق. كما أنها أدركت سر هذه الحركة.

– "ويليام".

– هس.

– "ويليام"... "تاو– لي". أين "تاو– لي"؟

– اسكتي.

– هل الباب الزجاجي يكوّن فتحة من أجل الغطس تحت الماء؟

– نعم، وبعد.

– وبعد.. إنه هنا. في هذه الحجرة.

– لا داعي لهذا الغباء. لا داعي لدخول الحفر إلى هذه الغرفة. وإلا فإن "تاو– لي" يعتبر مفقوداً. إنه حالياً من المفروض أن يستنشق آخر ما لديه من أكسيجين في خزانته.

– لكن أين هو؟

– تحت مؤخرة السفينة. اسكتي.

لكن "جوسيلين" لم تسكت. وإذا بالباب يدفع بشدة، والنور يغمر الكبينة. صاحت الفتاة. إن الرجال الثلاثة قد ظهروا مسلحين وفي زي ذي لون غير محدد، والوجه ثلجي. خرجت الفتاة خارج الغطاء، صاحت ثانية، لكن بدافع من حيائها، عادت واختفت تحت الغطاء.

أما "ويليام" فقد خرج من تحت الغطاء؛ لكي يقاوم الحراس. وهو أيضاً صاح، ولكن ليس من الخوف وإنما من الثورة. أخرج الرجال الثلاثة من الكبينة وكأنه يحرك دمى. حينئذ فقط تحققت "جوسيلين" من أنها تراه جيداً. وجدته رائعاً.



لقد أحبت رجلاً رائعاً. لقد سعدت.

وكانت خائفة من هذه التجربة.

*****

بعد قليل أقبل أحد الضباط وكان لطيفاً. أقبل شخصياً يطلب منهما الصعود إلى السطح. لقد تجمعوا عليه كلهم. يوجد جهاز الراديو.. والملاحان اللذان كانت "جوسيلين" قد شاهدتهما عند وصولها، وكذلك شاب صيني في زي أمير، والشابة المجهولة التي شوهدت في كبينة "سوهان فان شان" وأخيرا الوالد والابن. أما "ويليام" فكان بالقرب من "جوسيلين".

أخذ الضابط الصيني يراقبهم على التوالي وكان يطيل النظر إلى كتف "جوسيلين" العاري. لأنها لم تجد الوقت الكافي إلا للتدثر بالملاءة قبل أن تصعد.

طالت فترة الفحص. طالت إلى حد جعل الأمير العجوز يقوم بما كان الكل يتوقعه. أي أنه أنب الضابط بلغته، ملقياً إليه نظرة متعالية، لكنها ليست محتقرة.

تكلم قليلاً بهذه النبرة التي يخاطب بها خدمه عندما يصدر إليهم أوامره. تجمد الضابط، وتقدم بعد ذلك نحو الأمير العجوز، المهدد، البارد.

حينئذ تم الحدث.

لقد سقط أحد البحارة على سطح السفينة فاقد النطق. مال عليه أحد زملائه، قام بحركة لكي يقيمه. تمتم ببعض الكلمات، ثم أخذ يضحك دون أن يصل إلى غايته. كان يضحك مثل



www.rewity.com

شخص ثمل.

وفجأة تغير الموقف. قطب الضابط ما بين حاجبيه، وتقدم خطوة نحو الملاحين، ومال على الذي كان ساقطًا على الأرض. وعندما نهض قطب أنفه في اشمئزاز. في هذه اللحظة قام الشخص الصيني الذي يضع على رأسه قبعة تعلوها الحروف الأولى من اسم الأمير بتحية الأمير العجوز، وذلك بانحناءة حتى الأرض، ومد له بطاقة بحرية. تفحصها "وانج سوي هونج توين" بنظرة عابسة. انتصب تماما، وسار نحو الملاحين. ثم صفع الواقف، وركل الآخر الملقى على الأرض. في هذه الأثناء كانت "جوسيلين" تتطلع إلى المشهد حائرة، لا تفهم شيئًا مما يحدث أمامها.

كانت واثقة بأن الرجلين لم يتناولا شرابًا. اختلست نظرة إلى "ويليام" ولاحظت الابتسامة البادية على شفتيه وفهمت كل شيء. كان الملاحان قد ضحيا بنفسيهما من أجل إنقاذ الموقف. وفعلاً أُنقذ الموقف.

وبعد تبادل بعض العبارات المصحوبة بالإشارات، اختفى الضابط بعقب الرجل ذي القبعة، لكي يعود للظهور مرة أخرى فيما بعد وقد بدا مطمئنًا. قد يكون المال أحيانا شيئًا كريهًا.

ثم حدث بعد خمس دقائق أن سفن خفر السواحل الثلاث اختفت في الظلام في سرية.

حينئذ كان رد الفعل غير المتوقع لدى الأمير العجوز أن أطلق ضحكة ابتهاج، ونظر إلى الملاحين الثملين ومنح كل منهما ضربة خفيفة على وجنته..

وفي الدقائق التالية، استأنفت السفينة الملاحة، وكل عاد إلى



اهتماماته. أردف الرجل ذو القبعة أنه سوف ينزل إلى المرصد؛ لاستقبال المدعو الفريد من نوعه الذي كان ينبغي أن يختنق. تمنى الأمير العجوز ليلة طيبة للجميع واختفى. أما الملاحان فكانا قد اختفيا منذ فترة طويلة.

قاد "ويليام" "جوسيلين" إلى أعماق السفينة، وأجلسها في قاعة مكسوة بالصلب الأبيض ذات جدار له نافذة كبيرة مغلقة. ومن الخلف شاهدت الفتاة الغرفة الأسطوانية ذات الأرضية الزجاجية. حينئذ شاهدت "جوسيلين" المعجزة:

فُتحت صمامات صنابير مياه ودخلت المياه إلى الكبينة حتى امتلأت وأصبحت مثل حوض مائي، ثم شاهدت الجزء الشفاف وهو يرتفع ببطء. حينئذ فقط لاحظت الشيء المستدير الملصق بالقاعدة الزجاجية.

أردف "ويليام" مانحًا معلومة:

مِحْجم (كأس هواء) بفضله تمكن "تاو- لي" من التشبث بالسفينة.

وقفت الفرنسية دهشة، تراقب اليد - وبها قفاز من المطاط- الموضوعة على مقبض الآلة الزجاجية، ثم تابعت ظهور الذراع، ومن بعده الجسد كله.

وأخيرًا تحرك الرجل كالضفدع البشري، حرك زعانفه، وتعلق بمقابض الحواجز، ولم يتحرك. كان جسمه نحيفًا وطويلاً. حضرت الفتاة مشهد قيامة الحب. وأتتها فكرة من أجل "ميتسيكو". شعرت بالدموع تملأ عينيها، ثم أغلقت جفونها لحظة.

وعندما فتحتها ثانية، كان حدثان قد تما. من جانب آخر كان

حوض الهويس قد أفرغ ماؤه وكان "تاو- لي" قد نزع قناعه. كان شاحبًا، لكنه كان مبتسمًا. كان جميلاً وحاذقًا، وكان يبدو عاشقًا.

من جانب آخر، وضع "ويليام" يده على كتف "جوسيلين". حدثت نفسها بأن سعادتين بمثل هذه القوة ستكونان سبب مقاومتها. خشيت من أن يغشى عليها، لكنها لم تفعل ذلك. لقد سمعت "ويليام" يتمتم هامسًا لها في الأذن:

- أعتقد أنك فتاة جميلة ومدهشة يا "جوسيلين". حقًا في المستوى.

رفعت نحوه عينين مغرورقتين بالدموع التي تعجز عن احتجازها. حاولت أن تبتسم. أسندت وجهها على صدره العريض. شعرت بعد ذلك بيد تتعمق في شعرها. تمتمت كمن تحدث ذاتها:

- آه يا "ويليام" كم أني سعيدة! سعيدة جدًا!

لم تره يبتسم.

- أتساءل لماذا لا تكفين عن خلق الهموم، وتتحملينها من أجل الآخرين؟

- آه! لا تمزح!

- أنا لا أمزح.. إنها الحقيقة. هذا بالإضافة إلى أنه ينبغي أن تتوقفي عن توزيع معنوياتك الكريمة. إن لي عيبًا يتجاوز كل عيوب الآخرين. إني مندفع تمامًا.

في صمت، رفعت الفتاة من جديد عينيها المبللتين نحوه. عمق عينيه فيهما، فقرأت فيهما تعنيفًا حانيًا.

- آه! كنت قد غفلت عن أنهم في أسرة "ساندرسون" لا يبكون إلا عند دفن الأقارب. وجدير بالذكر أنه قد مرت سنوات لم



تسكب فيها دمعة، بما فيهن السيدات.

- "ويليام"!

- يجب أن أحدثك قليلاً عن "ساندرسون". إنها أسرة قديمة ممتعة ومتحدة. ثم يجب أن أعلن ذلك. ليس كل شيء أن يُتخذ الأمير الشاب كشخص كاتم أسرار غير عاقل.

- أنا لا أفهم شيئًا.

أمسك بذقنها، ووضع شفتيه على شفتيها وقال:

- إنك تفهمين جيدا، غاية ما في الأمر أنك تتظاهرين بعدم الفهم حتى ألقي لك ضوءًا على الأمور.

- بوضوح؟

- إنك على حق. لقد حان الوقت أن أخبر الأمير في اليوم التالي أن حادث الكبينة أصبح رسميًا.

أصبحت "جوسيلين" تبلع بصعوبة. أصبحت أيضًا غير قادرة على الإحساس بقلبها. بعد قليل سوف تبكي هذا المختفي الغالي.

أردفت:

- ما الذي يعرفه الأمير وأنا مازلت أجهله؟

- أننا قررنا أن نتزوج.

كانت "جوسيلين" تشعر وكأن أجراسًا ترن في رأسها.

اضطرت إلى التنفس بعمق قبل أن تعلن:

- لم تسألني عن رأيي، وما أعلمه!

حكّ رأسه وكأنه تحقق لتوه من غفلته.

- كنت واثقًا بأنني قمت بذلك.

- لا بالمرة.



www.rewity.com

هز كتفيه.

- إذن سأنفذ. هل تريدين أن تتزوجيني يا "جوسيلين لاريو"؟

لهثت، وأصبحت يداها منداتين واهتز كيانها كله.

- هكذا؟ بأقصى سرعة؟

ألقى إليها نظرة خاطفة من زاوية، أمسك بها بين ذراعيها مبتسماً تلك الابتسامة التي تزيده جمالاً.

- أريد أن أصلح خطئي وفي الحال. لقد أسأت إليك في هذه الكبينة الملجأ من رجال خفر السواحل المتوحشين.

هزت رأسها، وابتسمت بدورها وهي تحوط العنق القوي بيديها.

- على أي حال لا تجعل من ذلك أمراً واجباً.

بدا متردداً. أغلق عينيه للحظة، ثم فتحهما وهز رأسه ببطء. ثم بوداعة كما في فيلم بالتصوير البطيء، اقترب وجهه من وجه "جوسيلين". رأته مرتبكاً.

لكن الشفتين تحركتا ومن ثم خرجت الكلمات.

- كنت قد غفلت أيضاً يا "جوسيلين". إني أحبك.

أغلقت عينيها. رفضت الاستسلام للبكاء. من المفروض أنها ستصبح إحدى آل "ساندرسون" الذين لا يبكون إلا عند تشييع الأقارب.

- آه يا "ويليام"! وأنا أحبك أيضاً.. يا للعذوبة التي لشفتي "ويليام"! عذبة حقاً شفتاك يا "ويليام"!

**تمت بعون الله**